# المشرق

السنة السابعة والاربعون — ت ٢ - ك ١ ١٩٥٣


## الروم الملكيون في الاسلام

### مقتل البطريرك الانطاكي الملكي الشهيد خريستوفوروس

سنة ٣٥٦ للهجرة – ٩٦٧ للميلاد

حسدًا له لمكانتهِ لدى الامير سيف الدولة علي بن حمدان

ويليهِ

### قسم من اخبار جثالقة الروم الملكيين في العراق وبلاد فارس

نشرها لاول مرة حبيب زيات عن نسخة يتيمة من القرن العاشر

---

هذا اهم ما اخترناه من فوائد هذا الخبر الفريد الحافل باخبار النصرانية في في القرن العاشر. ولم يفتنا منه – على نقص فيه كما سبق من تنبيه الناسخ له الشماس بولس الزعيم – اقل لفظ يُستَشفّ منه حال من احوال النصرانية واوصاف البطريرك الانطاكي الملكي في ولاية سيف الدولة امير حلب . ولا

نعلم هل النسخة التي ورد رقمها في جريدة مخطوطات دير طور سينا هي محفوظة في اللغة الرومية التي كتبها اولاً ابرهيم بن يوحنا الابرطسبيتار ام في اللغة العربية التي املاها ثانية . ولعلّ التوفيق يخبأ لنا حظ الوقوف على النصّين معاً اذا قدر لنا ان نظفر بهما يوماً . ولا يخفى على من قرأ الملخص الذي سردناه سابقاً مكانة هذا الاثر الجليل وعظم خطره وشأنه وما له من الاهمية القصوى في التأريخ والاحتجاج . وهو من قلم شاهد عياني ولذلك عوّل عليه المؤرخ الثقة سعيد بن يحيى الانطاكي في حكايته مقتل خريسطوفورس وشرحه الحوادث النصرانية والوقائع الاسلامية في القرن العاشر . وقد اقتصر على نقل الفاظه وعباراته بالحرف الواحد. ولم يقع لنا اثر آخر نظيره يدانيه في الصدق والامانة. ولذلك يجب ان يُحلّ في مقدمة العُرى الوثقى التي يُناط بها تاريخ قسم من ماضي الكرسي الانطاكي في الاسلام . ومنه اقتبس الاخباريون كل ما رووه واوجزوه من سيرة الشهيد في مجاميعهم المعروفة بالسنكسارات كالمجموع الذي وقفنا عليه قديماً في مكتبة دير الشير للرهبان الحلبيين وبين اخباره الستة عشر « الثاني خبر القديس الشاهد خريسطوفورس المعظَّم ووصف سيرته وجهاده »[1] ونظيره السنكسار العربي المحفوظ في خزانة باريس (رقم ٢٥٤ ص ٢١٥) ولكنه خالف الاصل حيث زعم ان مقتل خريسطوفورس كان في اليوم الحادي والعشرين من ايار بدلاً من الثالث والعشرين من الشهر ( سنة ٣٥٦/٩٦٧ ).

وقد احاط كاتب السيرة بكل ما بلغه وعرفه عن احوال الشهيد ومثّل حياته في اهم اطوارها . ولم يفته الا ذكر سنة ميلاده في بغداد وانتدابه وهو كاتب في شيزر لتولي الكرسي الانطاكي . ولعله جهل يوم ولادته كما جهل كل اخبار والديه من قبله . ووفاته ايضاً تعيين اليوم الذي احتُفِل فيه بالصلاة عليه . وفي ذيل يحيى بن سعيد انه تقلد البطريركية في السنة الرابعة عشرة من خلافة المطيع لله العباسي ( ٣٣٤ للهجرة + ١٤=٣٤٧=٩٥٨م).

ويحق للقارئ اليوم ان يعجب من اختيار كاتب علماني لخلافة الرئاسة البطريركية . على ان عيسى البغدادي ليس اول طارئ ارتقى كما يقال من

١) كتاب قصص وسير واخبار بعض الرسل والشهداء والقديسات والابرار تعريب البطريرك مكاريوس الحلبي .

الرفش الى العرش اذا صح هنا هذا التمثيل . وقد نقدم له اشباه ونظراء . وكانوا اكثر ما يختارون من الكتّاب والاطباء. وقليلًا جدًا من التجار والصناع .

وأغرب من تلقّف البطريركية من التجار الصناع قزما بطريرك الاسكندرية سنة ٧٣٠[١] في خلافة هشام بن عبد الملك الاموي . قال سعيد بن بطريق احد خلفائه : « لما صار بطريركًا كان اميًا لا يقرأ ولا يكتب . وكانت صناعته عمل الإبَر » وورد مثل ذلك في كتاب « سِيَر البطاركة » (الاقباط) لساويرس بن المقفّع[٢] وولاية مثل هذا الابار الامّي في الاسكندرية مدينة العلم يحار منها العقل. ولعلهم اغتفروا له اميّتهُ وصناعتهُ لرضى الخليفة هشام بن عبدالملك به بتوسط بعض كتّاب الدولة من الملكيين بدمشق لدالتهم القديمة منذ زمان اسرة منصور والد القديس يوحنا المشهور . » وكان كرسي الاسكندرية بغير بطرك ملكي مدة سبع وتسعين سنة[٣] .

ومن الصناع القسوس الذين ارتقوا عرش البطريركية الاورشليمية — وكانوا كثيرًا ما يعالجون بعض الحِرَف لإعالة نسائهم واولادهم للسماح الشامل لهم بالزواج مرة واحدة فقط خلافًا للرهبان — قس نجار من ابناء الروم العبيد يسمى نقفور كان يخدم في قصر الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله . فلما مات ثاوفيلس بطريرك بيت المقدس في شهر رمضان سنة ٤١٠ ( كانون الثاني ١٠٢٠ ) توسل نقفور الى الحاكم ان يأذن له ان يصير بطريركًا في مكانه . فصُلّي عليه يوم

---

١) كثر الخلاف في تعيين سنة ولاية هذا البطريرك فقيل انها ٧٤٣ او ٧٤٦ P. J. Pargoire : ( *l'Église Byzantine de 527 à 847*. Paris 1905, p. 276 ). P. Henri Musset : *Histoire du Christianisme*. Harissa, 1948, I, p. 251 وقيل انها ٧٢٧. وفي خطط المقريزي ان الذي اقام قبـا (قزما) هو لاون ملك الروم سنة سبع ومائة (٧٢٥ م) (طبعة بولاق ٢ : ٤٩٢) ولكن سعيد بن بطريق ذكر انه « في سبع سنين من خلافة هشام صُيّرَ قزما بطريركًا على الاسكندرية (نظم الجوهر ٢ : ٤٥ ) واعاد ذلك مرة ثانية في آخر الصفحة نفسها . وكانت خلافة هشام سنة ١٠٥ ( ÷ ٧–١١٢=٧٣٠ م)

٢) طبعة سيبولد . بيروت المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٠٦ ص ١٦٧

٣) نظم الجوهر ٢ : ٤٥–٤٦

الاحد العاشر من تموز سنة ٤١١/١٠٢٠[1] ولا شك ان نقفور لم ينل رضى الحاكم الا بشفاعة والدة الحاكم وكانت رومية ملكية . او بشفاعة اخته ست الملك وكانت كل حياتها تعضد النصارى وتسعفهم بنفوذها الملكي .

وفي سنة ٩٦٥ ثار المسلمون في بيت المقدس واحرقوا الكنائس وقتلوا البطريرك الاورشليمي يوحنا بن جميع « فصُيِّر بعده بطريركاً تاجر[2] من اهل قيسارية يسمى حبيب ويُكنى ابا سهل وسمّوه انبا خريسطودولس »[3] .

وفي السنة الثالثة من خلافة المكتفي بالله العباسي (٢٨٩ ¼ +٣−٢٩٢=٩٠٥) « صُيِّر ايليا ( ابن منصور ) بطريركاً على انطاكية وكان كاتباً »[4] وكان سلفه سمعان بن زرناق حياً في هذه السنة واناب عنه من حضر مجمع القسطنطينية للنظر في زواج القيصر لاون السادس[5] .

وبعد وفاة ايليا بطريرك انطاكية سنة ٩٢٩ في الخامس والعشرين من حزيران «صُيِّر بعده انبا تاودوسيوس وهو استفان الكاتب الذي كان في بغداد مع مؤنس الخادم بطريركاً على انطاكية الشام في شهر رمضان سنة ثلاث وعشرين

---

١) كتاب الذيل ليحيى بن سعيد الانطاكي ٢٢٨. وقد فات الاب هنري موسه ذكر هذا البطريرك بين بطاركة اورشليم في تاريخه : *Histoire du Christianisme spécialement en Orient.* وهو ينقل كثيراً عن كورولفسكي : *Dictionnaire d'Histoire et de Géographie ecclésiastiques* ويخطئ كلاهما احياناً في سياقة اسماء وتواريخ البطاركة الشرقيين .

٢) جاء في كتاب الذيل ليحيى بن سعيد الذي استبد الاب شيخو بطبعه في بيروت انه بعد وفاة البطريرك يوحنا بن جميع « صُيِّر بعده بطريرك آخر » بدلاً من « تاجر » . وهذا التحريف مثل من الامثال التي لم يبال الاب شيخو بتسديدها في طبعته باسمه واسم البارون كارا دي ڤو وباسمنا .

٣) كتاب الذيل ليحيى ١٢٥

٤) نظم الجوهر ٢ : ٧٤

٥) روى الاب موسه في تاريخه المذكور آنفاً ان ايليا قام سنة ٩٠٧ ومات سنة ٩٢٦ وقد وهم في كلا التاريخين لان سعيد بن بطريق نص على ان ايليا صُيِّر بطريركاً في السنة الثالثة من خلافة المكتفي ( ٢٨٩ ¼ +٣ − ٢٩٢ = ٩٠٥ ) وتوفي في ١٣ جمادى الآخرة ٣١٧ ( ٢٥ تموز ٩٢٩ ) بعد ان اقام على الكرسي ٢٨ سنة (نظم الجوهر ٢ : ٧٤ و٨٥ )

وثلاثمائة »[1] (آب ٩٣٥) « وتوفي وله في الرئاسة سبع سنين»[2] اي سنة ٩٤٢ .

ومن الاطباء الذين ارتقوا الكرسي الاسكندري بليطيان. قال سعيد بن بطريق « وفي اربع سنين من خلافة جعفر المنصور صُيّر بليطيان بطريركاً على الاسكندرية وكان طبيباً اقام ستاً واربعين سنة ومات »[3] وكانت خلافة المنصور في ذي الحجة سنة ١٣٦ (ايار ٧٥٤) فيكون قيام بليطيان سنة ٧٥٨ ووفاته سنة ١٨٢/٧٩٨ .

وأشهر من تولى البطريركية الاسكندرية من الاطباء سعيد بن بطريق المعروف بابن الفرّاش صاحب التاريخ وذلك في اليوم الثامن من صفر سنة ٣٢١ (= ٧ شباط ٩٣٣) بعد وفاة البطريرك خريستودولا سنة ٩٣٢/٣٢٠[4] .وله في الرئاسة سبع سنين وستة اشهر اي في ايار سنة ٩٤٠[5] .

وفي السنة الخامسة من خلافة العزيز بالله الفاطمي (ربيع الثاني ٣٦٥ = ك٢ ٩٧٦) اي ٩٨١/٣٧١ « صُيّر يوسف الطبيب بطريركاً على بيت المقدس اقام في الرئاسة ثلاث سنين وثمانية اشهر ومات بمصر »(سنة ٩٨٥/٣٧٤) ودفن في كنيسة مار تادرس مع انبا خريسطودولا القيسراني »[6] .

ومثل هذا التفضيل لرجال الدنيا على رجال الدين لكفاية اجلّ المناصب الكنسية انما كان يجري في ديار السلام اي في المدن الخاضعة للخلافتين العبّاسية والفاطمية .وكان الخلفاء والملوك والامراء فيما يؤثرون اختيار الكتاب والاطباء

---

١) نظم الجوهر ٢ : ٨٥ و٨٧

٢) ذيل يحيى بن سعيد ٩٩

٣) نظم الجوهر ٢ : ٤٩ وقد فات الاب هنري موسه ذكر البطريركين ثاودوسيوس الانطاكي وبليطيان الاسكندري في تاريخه وأغفلتها ايضاً المعجمات التاريخية الفرنسية التي استمد منها كثيراً من اخباره .

٤) نظم الجوهر ٢ : ٨٨ وذيل يحيى ٩١

٥) عيون الانباء لابن ابي اصيبعة ٢ : ٨٦.

٦) عيون الانباء في طبقات الاطباء لابن ابي أصيبعة ٢ : ٨٦ وفيه ان هذا الخبر وارد في تاريخ الذيل ليحيى . وقد خلا منه المطبوع وهو ما يدل على نقصه كما خلا من ذكره تاريخ الاب هنري موسه وسائر المعجمات الاوربية التي تكلمت على البطاركة الشرقيين وخصوصاً التواريخ الرومية القديمة والحديثة كتواريخ پاپادوپولس كريستوم وپاپادوپولس كراموس التي راجعها الاب موسه لكتابة تاريخه الشرقي .

البلدين لأهمّ الولايات النصرانية لثقتهم بطاعتهم وامانتهم ولكراهتهم للروم وحذرهم منهم حتى كانوا يعدونهم دائماً كما يقولون «حرباً لهم» بخلاف ديار الحرب كانطاكية حيثما كانت تعود الى ملك القياصرة مدة بعد اخرى . فان السلطة البطريركية فيها كانت لا تُسند قط الا للرهبان البيزنطيين الذين يقع عليهم اختيار القسطنطينية لغرض سياسي او لخدمة سبقت لهم . وقلّ جداً ان يقلدوها احد الاساقفة الشاميين كاغابيوس مطران حلب حين كافأه الملك باسيل بالبطركية لاستمالته له عبيدالله الماجسطرس الذي كان عاصياً عليه في انطاكية[1] .

ويستدل من شهادة كاتب السيرة ان اختيار البطاركة في الاسلام في الكراسي الثلاثة كان راجعاً الى جماعة الشعب لا للاساقفة كما هي الحال اليوم. ولعل اهم اسباب هذا الزهد فيهم سوء اعتقاد القوم في نزاهتهم ونفورهم مما كانوا يعرفون به من الطمع والحرص على الانتفاع والاهتمام بصلاح احوالهم الخاصة كما نبّه على ذلك كاتب الخبر شاهدهم العياني ابرهيم بن يوحنا الانطاكي. وفي سماع هذه الشهادة منه ألم للنفس وداع للحسرات.

ومن الفوائد التاريخية التي تُجتنى من هذا الخبر ذكر البطريرك اغابيوس بن القعبرون سلف خريسطوفورس . ولم نجده في سند آخر وهو اغابيوس الاول[2] فيما نعلم اليوم وقد خلا الخبر من سنة وفاته ولعلها لم تسبق كثيراً ولاية خريسطوفورس سنة ٩٥٨. وحكى بعد ذلك انفاذ الملك يوحنا بن الشمشقيق راهباً من مدينة قلونية يدعى ثاودورس لتقلد البطريركية وكان قبلاً رئيس دير كير انطوني في الارميناكس[3] « وصُيّر بطريركاً على انطاكية يوم الاحد ٢٣ من كانون الثاني سنة ١٢٨١ للاسكندر وهو لاثني عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر سنة تسع وخمسين وثلثمائة »[4] (= ٢٣ من شباط ٩٧٠).

١) كتاب الذيل ليحيى بن سعيد ١٤٩

٢) ذكر الاب متري موسه ان اغابيوس اسقف حلب الذي ولّاه الملك باسيل البطريركية الانطاكية سنة ٩٧٧ هو اغابيوس الاول ووهم في ذلك لعدم معرفته اغابيوس بن القعبرون.

٣) التيبيكون الصغير لنيكون الثاني نقله الشماس بطرس الزعيم في مخطوطه السابق الذكر ، ويريد بالارميناكس بند الارميناق الذي ذكره المسعودي في كتابه التنبيه والاشراف (ص١٧٦) قال.ارض الروم اعمال مفردة تسمى البنود كما يقال اجناد الشام كجند فلسطين. . .

٤) ذيل يحيى بن سعيد ١٣٨

ومن خلفاء ثاودورس الذين اشار اليهم الحبر البطريرك نقولاوس كان رئيس دير الاصطوديين في القسطنطينية « صُلي عليه في القسطنطينية يوم الاحد سابع عشر كانون الآخر سنة الف وثلثمائة وست وثلاثين (للاسكندر) وهي لاربع عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة خمس عشرة واربعمائة »[1] (=١٤ شباط سنة ١٠٢٥) وهو الذي نقل جثة خريسطوفورس الى بيت مار بطرس في انطاكية.

وليس في السيرة اشارة الى احد اساقفة الكرسي الانطاكي في الربع الاخير من القرن العاشر سوى اسقف سلوقية ثاودولس وهو الذي عذل خريسطوفورس لابتعاده عن انطاكية ايام العصيان على سيف الدولة ومقامه في دير مار سمعان الحلبي.

وفي ختام السيرة تعداد بعض خريجي البطريرك الشهيد. يظهر انهم صحبوه وتتلمذوا له. وبينهم احد الحبساء. وبعض رؤساء الاديار كدير مار سمعان الحلبي. وسمعان البحري. ودير سابا. ودير السيدة في جبل اللكام. وغيرها من الديارات المشهورة في زمانه. وقد يتفق ذكرها يوماً في التاريخ فتكون اسماؤها الواردة في السيرة عوناً للمؤرخ لسدّ فراغ بعض حلقاتها الضائعة.

واهم ما انفردت به السيرة اخبار بعض الجثالقة الملكيين في العراق وبلاد فارس. وفيها ذكر ثلاثة منهم. ولما لم يسبق لاحد كلام في هذا المعنى[2] رأينا ان نجمع هنا ما تفرق من هذه الاخبار على ندرتها وعزة مثالها لتكون مرآة تتجلى فيها احوال الكنيسة الملكية ويتضح تعدد فروعها وانتشار اشياعها الى خراسان واقصى آفاق المشرق.

## جثالقة الكرسي الانطاكي الملكي وانتشار الروم في خراسان والشرق

قال محمد الخوارزمي الكاتب في تعريفه لقب الجاثليق وهو يعني جثالقة الملكيين الانطاكيين الذين عرفهم اهل خراسان:

١) ذيل يحيى بن سعيد ٢٦٦

٢) ظهر في مجلة Proche-Orient Chrétien, tome II, fasc. 1-1952, pp. 39-46. مقالة في « جثالقة روما جيريس » واهمها مستند من السيرة التي نشرنا نصّ الاصل القديم فيها. ومن مقالتنا جثالقة الملكيين في العراق وخراسان » التي كانت لدى المجلة الفرنسية المذكورة وكان في النية نشرها اولاً.

« القاتوليق ( الكاثوليك = Καθολικός ) هو الجاثليق يكون تحت يد البطريق ( البطريك ) ومقام الجاثليق في حضرة الامام ببلد العراق مدينة السلام . فيكون تحت يد بطريق انطاكية . ثم المطران تحت يد الجاثليق . ويكون مقام المطران في خراسان بمَرْو »[1] .

وتقدمه في هذا الشرح ابو الريحان البيروني فقال في تعداده المراتب الدينية النصرانية بالقابها الآرامية :

« السابعة مطرابوليطا وهو من تحت يد الجاثليق . ومقام مطران خراسان للملكائية بمرو . والثامنة قاثوليقا وهو الجاثليق ومقام جاثليق الملكائية من بلاد الاسلام بمدينة السلام . وهو من تحت يد بطريق انطاكية »[2] .

وكان البيروني وقتئذ يجهل قيام جاثليق للملكيين في الشاش في عصره في ما عدا مطران خراسان بمرو . وفي مدينة مرو هذه كان مقام الجاثليق قديماً حيناً من الدهر . وكانت زمناً طويلاً داراً لولاة خراسان . وفيها لبث المأمون تسع سنين قبل ان يلي الخلافة »[3] . ويؤخذ من التقاليد المسيحية انها كانت في القرون الاولى حافلة بالنصارى. وان بَرْشَبا مطرانها اقام فيها عدة بِيَع . ومنها تفرق تلامذته في سائر مدن خراسان وبنوا الكنائس وعمدوا الناس. وفي تاريخ النساطرة التي وردت فيها هذه الرواية « ان اهل مرو اصلهم يونان كانوا مع الاسكندر وقت بنائها ولم يرجعوا معه . فآمنوا وكسروا الاصنام التي كانوا يعبدونها »[4] .

وفي زعم ابن الفقيه في كتابه « مختصر البلدان » ان مرو الروز لم يكن بها بناء . فبعث اليها كسرى ناساً من اهل السواد فبنوها وسكنوها . قال : « ولما غلب اردشير على ملك النبط فرأى جمالهم وعقولهم قال ما اخوفني ان يحدث بي حدث ان يعود الملك الى هؤلاء . ففرض لهم فرضاً وبعث منهم

---

١) مفاتيح العلوم طبعة ليدن ١٨٩٥ ص ١٢٩ – ١٣٠ ويُراد بالجاثليق عند النساطرة المشارقة « فطرك المشرق » ( كتاب المجدل لعمرو بن متى رومة ١٨٩٦ ص ٢ ).

٢) الآثار الباقية من القرون الخالية ٢٨٩ .

٣) تاريخ ملوك الارض لحمزة الاصفهاني طبعة كلكتة ١٩٨ .

٤) Patr. Orient. t. IV. *Histoire Nestorienne*, pp. 221-222

بعوثاً واغزاهم خراسان . فأهل مرو من النبط . وفرقهم في البلاد»[1] .

وهذه الرواية اذا صحّت لا تنفي وجود اليونان في مرو من القدم منذ زمان الاسكندر وقبل كسرى .

ومما لا شك فيه ان الروم كانوا في العراق وبلاد فارس وخراسان مدة طويلة قبل افتراق النصارى الى فِرَقهم الثلاث . انتقلوا اليها اما طوعاً للتجارة واما كرهاً بعد الافتراق لسبي ملوك الفرس الساسانية لهم في انتصاراتهم على ملوك القسطنطينية . واكثر ما كان يقع السباء على اهل انطاكية خصوصاً . وقد روى غير واحد من المؤرخين ان سابور بن اردشير لما ظفر بالقيصر فاليريانس (سنة ٢٥٣) انصرف ومعه السبي الكثير من الروم فأسكنهم بلدان العراق والاهواز وفارس وبنى لهم بعض المدن[2] . وفي تاريخ النساطرة ان النصارى كثروا لهذا السبب في بلد الفرس وبنيت الديارات والبِيَع « وكان فيهم كهنة سُبُوا من انطاكية فسكنوا جنديسابور واختاروا زادوق الانطاكي فجعلوه اسقفاً عليهم لان ديمتريوس فطرك انطاكية اعتلّ ومات من الغم ... وتفرق النصارى في سائر البلدن وكثروا بالشرق . وبُني بايرانشهر التي هي كرسي مطارنة فارس بيعتان وسُمّيت واحدة بيعة الروم والاخرى كرمانون . وكان يُصلَّى فيها باليونانية والسريانية . وعوّض الله الروم عما لحقهم من السبي والعبودية بما صاروا اليه من حسن الحال . وعظم امرهم في بلادهم اي بلاد الفرس وحصلوا باكثر مما كانوا فيه من طيب العيش في بلادهم »[3] .

وأشار الى مثل ذلك مؤرخ النصرانية المشهور دوشين (Mgr Duchesne) فقال بعد ان ذكر موت فاليريانس في الاسر وقيام ولده غاليان في رومة :

« واستطال الفرس على سورية وآسية الوسطى وفاجأوا انطاكية فسقطت في ايديهم فنهبوها واحرقوها واقتادوا القسم الاعظم من اهلها اسرى واسكنوهم الاهواز وفعلوا مثل ذلك بطرسوس وقيسارية الكبادوك »[4] .

---

١) مختصر البلدان طبعة ليدن ٣١٩

٢) الكامل لابن الاثير ٢: ١٢٥

٣) Patr. Orient. t. IV. *Histoire Nestorienne*, pp. 255-256.

٤) L. Duchesne: *Histoire ancienne de l'Église*, t. I, pp. 468-469.

وقد نبّه المسعودي على ان الروم الذين اجلاهم سابور هم الذين علموا اهل فارس صناعة نسج الخز والحرير والديباج والستور والفرش التي اشتهرت بهـا مدنهم منذ ذلك . والأولى ان ننقل ههنا كلامه لما فيه من زيادة انتشار الروم في بلاد فارس . قال :

« وغزا سابور بعد ذلك بلاد الجزيرة وآمد وغيرها من بلاد الروم ونقل خلقاً من اهلها واسكنهم بلاد السوس وتُستر وغيرها من مدن كُور الاهواز . فتناسلوا وقطنوا تلك الديار . فمن ذلك الوقت صار الديبـاج التستري وغيره من انواع الحرير يعمل بتستر. والخز بالسوس . والستور والفرش ببلاد نصيبين. ومكث الى هذه الغاية »[١] .

وفي زمن كسرى انو شروان أُصيبت انطاكية مرة ثانية بمثل هذا البلاء والجلاء . فافتتحها وافتتح مدينة سلوقية في ساحلها « وسبى اهل مدينـة انطاكية ونقلهم الى ارض السواد وامر فبُنيت لهم مدينة في جانب مدينة طيسفون على بناء مدينة انطاكية واسكنهم اياها .وهي التي تسمى«الرومية». واجرى على السبي الذي نقلهم اليها من انطاكية الارزاق وولّى القيام بأمرهم رجلاً من نصارى الاهواز ليستأنسوا به لموافقته في الدين»[٢] .ولما توفي انو شروان « اجتمع الروم الذين سباهم من انطاكية واسكنهم المدينة المبنية لهم فاكرموا جسده على عادة النصارى ومشوا حوله بالفيارم(المباخر)والشمع الى حيث دفن»[٣] .

ولم يقف حب التغرب للاتجار والارتزاق بالروم الملكيين عند حدود خراسان بل تجاوزوها الى ما وراء النهر في جوار ديار الترك قديماً وقطنوا مدينة الشاش وهي المعروفة باسم طاشكند (Tashkent) في جملة مدن روسية . ويؤخذ من كلام ياقوت الحموي في كلامه على جزيرة سُقطرى في بحر الهند « ان قوماً من بلد الروم طرحهم بها كسرى . ثم نزلت بهـا قبائل من مَهرة وتنصر معهم بعضهم » وذكر ان عدد مقاتلة هؤلاء القبائل العربية المتنصّرة كان نحو عشرة آلاف . وحكى قبلاً قول من زعم ان الاسكندر هو الذي سيَّر هؤلاء اليونانيين

١) مروج الذهب على هامش الكامل لابن الاثير ٣: ١٢٦

٢) الكامل لابن الاثير ١: ١٥٤

٣) Patr. Orient. t. VII. *Histoire Nestorienne*, p. 197.

في بحر القلزم الى سقطرى . فلما حصلوا بها غلبوا على من كان بها من الهند وملكوا الجزيرة بأسرها « فلما مات الاسكندر وظهر المسيح بن مريم عليه السلام تنصّر من كان بها من اليونانيين وبقوا على ذلك الى هذا الوقت»[١] .

ومهما صح احد القولين فهو يدل على شدة انتشار الروم في آفاق الشرق وتطوحهم في الاسفار واستقرارهم حتى في الهند . ولعلهم بلغوا ايضاً الصين طلباً للتجارة في جملة من بلغها واستوطنها من النصارى النساطرة .

## الروم الملكيون في العراق

كان اهم مقام الملكيين في العراق في اكتسيفون ( طيسفون المدائن ) وفي البنيّة التي بناها انو شروان لسبايا انطاكية والشام وحاكى بها المدن الشامية ودعاها « الرومية »[٢] . وفيها لا ريب كان مقام الجاثليق. « ولما عزم المنصور الخليفة العباسي على بناء بغداد امر بنقض المدائن ونقل النقض الى بغداد »[٣] وابعد النصارى الروم الى مدينة الشاش كما تقدم من كلام ابرهيم بن يوحنا الكاتب الملكي الانطاكي . فنُفُوا مع مطرانهم الى بلاد خراسان حيث انشأوا لهم محلة دعوها «روجرد». ولعل اهم اسباب هذا الابعاد كان انتسابهم الى ملة الروم البيزنطيين اعداء العرب على الدوام . ولكنهم ما عتموا ان احتلوا حاضرة الخلافة العباسية بفضل من اجتمع منهم من التجار واسرى الحروب والخدم والوصائف . وكان الفراشون منهم والغلمان والجواري لا يخلو منهم بيت امير او غني فضلاً عن قصور الخلفاء والملوك والقوّاد . ولما دخل المأمون مصر سنة ٨٣٢/٢١٧ كان معه منهم جمع حافل لاصلاح خيامه وتعهده في قعوده وقيامه فلم يرَ بدّاً من ان يأذن لهم ببناء كنيسة في القنطرة يصلون فيها عُرفت بكنيسة مارت مريم او كنيسة الروم . وكانت قبلاً تعرف بكنيسة الفراشين[٤] . وكان لهم في بغداد قطيعة تعرف بدار الروميين تشرع على نهر

١) معجم البلدان ٣: ١٠٣

٢) ذكر المسعودي ان هذه المدينة كانت خراباً ولها سور قائم من طين في وقته (٩٥٦/٣٤٥) ( مروج الذهب بهامش الكامل ٢: ١٣٩ ) .

٣) تاريخ مختصر الدول لابن العبري ٢١١

٤) نظم الجوهر لسعيد بن بطريق ٢: ٥٨

كِخايا[١]. وهو ما يدل على وفرة عددهم.

وكانوا مع تخصصهم بخدمة لا يخلون من ادب وعلم واتقان فن . فقد نقل حمزة بن الحسن الاصفهاني اخبار ملوك الروم عن احدهم وقال : « هذه التواريخ اخذتها عن رجل رومي كان فرّاشاً لاحمد بن عبدالعزيز بن دُلف فوقع عليه السباء. وهو رجل كبير يقرأ ويكتب بالرومية. وكان لا ينبعث في النطق بالعربية الا بجهد . وكان له ابن من جند السلطان منجم فيهم يقال له ين . فترجم لي عن لسان ابيه إملاء من كتاب له رومي الخط هذه التواريخ »[٢] . وروى صاحب الاغاني عن اسحاق بن ابرهيم الطاهري قال : « حدثتني مخارق قالت كان لمولاي الذي علمني الغناء فراش رومي وكان يغني بالرومية صوتاً مليح اللحن فقال لي مولاي: يا مخارق خذي هذا اللحن الرومي فانقليه الى شعر من اصواتك العربية »[٣]

وكان من النساء الروميات فرّاشات ايضاً. ذكر الطبري انه كان للمنصور ولد يدعى صالح المسكين امه ام ولد رومية يقال لها قالي الفراشة[٤] ولكنهن كنَّ اقل بكثير من الفراشين لعدم الحاجة اليهن في كل منزل .

واما الإماء وأمّهات الاولاد والسبايا والجواري والوصائف الروميات فلا سبيل الى احصائهن او تقديرهن لتعددهن في كل قصر وكل دار . ولعلهنّ كنَّ لا ينقصن عن الحرائر الكثرة من كنَّ يُستجلَبْ منهن وطمع التجار في الربح الطائل من الدلالة على الجواري البديعات الحسن الغريبات الجمال. وكانت اثمان بعضهن ترخص عقب بعض الغزوات والحروب. ومهما تباين في حسن الخَلق فقد كانت الرغبة فيهن على كل حال شديدة لاعتبارهنّ « عبيد طاعة واولاد موافقة وخدمة ومناصحة وامانة . يصلحن للخزن لضبطهن وقلة سماحتهن ولا يخلو ان يكون بأكفهنّ صنعة دقيقة »[٥] . ومما كان يزيد في قيمتهن وفضلهن

١) كتاب البلدان لليعقوبي ٢٤٤

٢) كتاب تاريخ ملوك الارض ٦٠–٦١

٣) الاغاني طبعة بولاق ٥:٥٧

٤) تاريخ الرسل والملوك Tertia series ١ : ٤٤٣

٥) تحفة الاصحاب في معاشرة الاحباب للسوأل يحيى بن عباس المغربي رقم ٣٠٣٩ باريس ٢١١–٢١٤

اتصافهن غالباً بالفهم والعلم حتى كان بعض الائمة من المجتهدين والعلماء يتطلبونهن خاصة لمساعدتهم في الدرس والقراءة والكتابة. وممن عُرف باختياره لهن الامام ابو عبدالله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني من قرية حرستا في ضاحية دمشق « كان لا ينام الليل ويضع حوله كراريس. وبين يديه عشر جوار روميات عالمات بالكتابة والعربية يقرأن عليه العلم »[1] . وهذه المزية من اغرب ما انفردن به من الفضائل. ولذلك كان «اهل الشام اشهى النساء عندهم الروميات وبنات الروميات » كما نبّه على ذلك الجاحظ[2] .

ومن فضائل هؤلاء الجواري وامّهات الاولاد صدق اهتمامهن بالعلم وحرصهن على تأديب اولادهن بآداب اليونان. روى ابن أصيبعة انه كان للرشيد «جارية رومية يقال لها خرشي وكانت ذات قدر عنده محلها منه محل الحوازن. وكانت لها اخت او بنت اخت ... زوّجتها من قرابة لها وولدت الجارية عند مخرج الرشيد الى طوس ... فتبنّت خرشي ذلك الغلام وادبته باداب الروم وقراءة كتبهم فتعلم اللسان اليوناني علماً كانت له فيه رئاسة . وهو اسحق المعروف بابن الخصي »[3] .

وقد تقدم من قول مخارق انها تعلمت الغناء من فراش رومي . ولا ندري مقدار من كان بين الجواري من القيان المجيدات للغناء الرومي وقل جدًا من نبّه عليهن . ولم يمرّ بنا في كل مطالعاتنا الا قول عبد العزيز بن خضر الواسطي المعروف بسيدوك :

شربنا في شمانين النصارى على ورد كأردية العروس
تغنينا بنات الروم فيه بألحان الرهابن والقسوس[4]

وكان المأمون يعجبه النظر الى جواريه الروميات في عيد الشعانين وقد تزيّنّ بالديباج الرومي وعلّقن في اعناقهن صلبان الذهب وفي ايديهن الخوص والزيتون[5] ولا ريب انهن كنّ يسمعنهُ احياناً « الحانَ الرهابنِ والقسوس ».

١) مفتاح السادة لطاشكبري زاده طبعة حيدر اباد ٢ : ١١٠
٢) فخر السودان على البيضان . طبعة ليدن ١٩٠٣ ثلاث رسائل للجاحظ ٧٩
٣) عيون الانباء لابن ابي أصيبعة ١ : ١٨٥
٤) فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ١ : ٣٥٤
٥) الاغاني ١٩ : ١٣٨-١٣٩

ولا سبيل لنا اليوم ان نعلم ولو بطريق التخمين والتقدير احصاء جيوش الخدم الإناث والإماء التي كانت تطوّق العراق في زمن الرشيد وكان في قصره في بغداد منهن ما ينيف على اربعة آلاف ما بين وصائفه ووصائف زبيدة وعلية اخته . فكم كان من ثم مجموعهن في سائر القصور والدور والمنازل . وكم كانت نسبة الروميات بينهن الى بقية الاعجميات المولّدات . ومن اليقين ان غالبهن كان من اصل بيزنطي لما كنَّ يُعرفن بها من الخصال المتزلية ومزيّتي الملاحة والرجاحة . ولذلك كنَّ يُحصَين في الغالب في جملة التُحف والطرائف ويُقدَّمن في طليعة الهدايا والجوائز . ولما اراد المنصور ان يكافئ طبيبه جورجيس بن جبرئيل امر ان يُختار له ثلاثاً من الجواري الروميات الحسان ويُحملن اليه . فردهنَّ جورجيس على الخادم وقال نحن النصارى لا نتزوج بأكثر من امرأة واحدة[1] . وفي كتب الاخبار والمجاميع الادبية عدة اشارات الى مثل هذه الهدايا الرومية لا حاجة الى استقصائها . ومما يجب ان يُنبَّه عليه ان طائفة غير قليلة من هؤلاء الإماء والوصائف الروميات كنَّ يأبَين انتحال الاسلام ويحافظن على نصرانيتهن ولو في قصور الخلفاء والملوك . وقد سبق ذكر جواري المأمون في عيد الشعانين وقد علّقن فوق صدورهن صلبان الذهب وامسكن بأيديهن اغصان الزيتون . وقبلهن كذلك كانت جواري المهدي الروميات في القصر . وفي تاريخ الطبري ان المهدي دخل يوماً بعض دوره فاذا جارية له نصرانية واذا جيبها ( اي طوق قميصها ) واسع وقد انكشف عن ثدييها . واذا صليب من ذهب معلق في ذلك الموضع فاستحسنه فمد يده اليه فأخذه . فولولت على الصليب فقال المهدي في ذلك :

يوم نازعتُها الصليب فقالت ويح نفسي اما تحلّي الصليبا[2]

وعلى مثال الفتيات والإماء الروميات كان الغلمان والخصيان والمماليك البيزنطيون . وانما كانوا يفوقونهنَّ عدداً واثراً لكثرة الحاجة اليهم في حراسة الحُرَم وخدمة البيوت والمجالس وحفظ الاسواق والانتظام بين الجنود ومواكبة الوزراء والخلفاء .

---

١) عيون الانباء ١ : ١٢٤–١٢٥

٢) تاريخ الطبري طبعة اروبة ص ٥٤٣ série.3e vol. 1er.

ولم يتفق لاحد من الكتبة والمؤرخين مرة واحدة احصاء من كان في الخلافة العباسية من اجناس المماليك والغلمان بين روم وصقالبة وزنج وارمن واتراك وفرس وسائر الاعاجم لنعرف مقدار من كان من الروم بينهم وانما كانوا احياناً يُميَّزون بالبياض والسواد كقول الخطيب البغدادي حين وصف استقبال المقتدر بالله لرسول ملك الروم « كان عدد الخدم اذ ذاك سبعة آلاف خادم منهم اربعة آلاف بيض وثلاثة آلاف سود »[1] . وكان المتقي لامر الله لما استُخلف استُحلِف على انه لا يشتري مملوكاً تركياً وكان يقتني مدة خلافته اما ارمنياً او رومياً... واختص من مماليكه الروم والارمن عدة من النجباء سمَّاهم الحلية وولَّاهم الرتب العلية »[2] . ومن الوزراء قبله الذين كانوا يقتنون الروم والاتراك صاعد ابو العلاء الكاتب النصراني الاسلمي كتب للموفق وولي الوزارة لاخيه المعتمد « وآخر الامر قبض عليه الموفق واخذ له من الضياع والاملاك ما مُغَلّه الف الف دينار... ومن فحولة الروم والاتراك ثلاثة آلاف مملوك »[3] . ولا ريب ان المماليك الروم كانوا اوفرهم عدداً لكثرة الاسرى منهم في الحروب التي كانت لا تفتر بين المسلمين والبيزنطيين .

وكان الغلمان الروم اكثر ما يُختارون من الملاح الصباح الوجوه ويُعَدّون لذلك بين التحف والصلات والهبات التي يُجاد بها على الندماء والمستميحين والشعراء . ولما أدخل مروان بن ابي حفصة الشاعر الى المهدي اجازه على مديحه بعشرة من خدم الروم وقطيعة بناحية السواد[4] . وكذلك فعل المتوكل على الله حين رضي عن حنين بن اسحاق بعد غضبه عليه . قال حنين «وحملني على خمسة اروس من بغلاته الخاصة بمراكبها ووهب لي ثلاثة خدم روم »[5].

ولم يكن مثل هذا الإهداء خاصاً بالخلفاء بل كان ايضاً مزية لكل رجال الدولة من الامراء والكبراء . وفي كتاب قطب السرور « ان بديع غلام

---

١) تاريخ بغداد ١٠١:١

٢) زبدة النصرة ونخبة العصرة للعماد الاصفهاني . طبعة ليدن ٣٢٥

٣) الثاني من عيون التواريخ للكتبي . خزانة الفاتيكان ٨٥ ص ١١٥

٤) المحاسن والمساوئ للبيهقي ١٧٥:١

٥) عيون الانباء لابن ابي أصيبعة ١٩٦:١

اسحق بن ابرهيم الموصلي سار الى ابرهيم بن المهدي وغناه . فبعث ابرهيم الى اسحق ثلاثة ابغل عليها الوان الشراب وثلثة غلمان روم»[1] . وحكى احمد بن طاهر قال قصدت سرّ من رأى رائدًا بعض كبارها بشعر مدحته بـه فقبلني وأجزل صِلتي ووهب لي غلاماً رومياً[2] . وفي الكتب الادبية والاغاني مئات من هذه الامثلة والهبات الرومية .

وكان الاصحاب والندماء يتراسلون بأمثال هؤلاء الغلمان « انفذ مرة محمد بن الشجَير النديم رقعة مع غلام له وضيء الوجه .. ومعه غلمة له اقران وقد جعل الرقعة كالمنشور .. وكتب فيها :

سرّ على اسم الله يا اكمل من غصن لجين
في بدور من بني الرو م الى باب الحسين[3]

واكثر ما كانوا يختارون الغلمان لمجالس الشراب سُقاةً لمناولة الاقداح والكؤوس . وقد وصف كشاجم احدهم فقال :

واحور من ظباء الروم ساقٍ كغصن البان تثنيه الرياح
بديع ملاحة يدعى نجاحاً ولكن ما لموعده نجاح
له طرر نُصفَ على جبين كمثل الليل قابله الصباح
تحلّى بالمناطق وهو ممن يليق به القلائد والوشاح[4]

وربما ترقى بعض هؤلاء الغلمان والمماليك في الخدم والرتب ودفعتهم اطماعهم الى اطراح ديانتهم النصرانية وانتحال الاسلام ليبلغوا مبلغاً اسمى في المناصب السنية . وكانوا لذلك اقل حرصاً على حب طقوسهم البيزنطية خلافاً للجواري فانهن كن اكثر تمسكاً بها واوفر جرأة على التظاهر بها حتى في قصور الخلافة كما سبق .

وكان للخصيان بين روم وصقالبة شأن خطير في الاسلام للحاجة اليهم في حراسة الحُرَم وصيانة الاعراض . فلم يكن يخلو منهم بيت غني ولا قصر

---

١) قطب السرور للرقيق النديم خزانة لندرة بريتش موزيوم Or. 3628 f° 31.
٢) مسالك الابصار للعمري ٢٦٣
٣) قطب السرور المتقدم الذكر .
٤) ادب النديم . طبعة بولاق ١٢٩٨ للهجرة .

امير . وربما كانوا من الغلمان الذين حُبسوا على الكنائس . قال البشاري المقدسي «سألت جماعة منهم كيف يُخصَون فتحصل لي ان الروم يَسُلُّون اولادهم ويحرزونهم على الكنائس لئلا يشغلوا بالنساء. وتؤذيهم الشهوة. وكان المسلمون اذا غزوا اغاروا على كنائسهم واخرجوا الصبيان منها »[1] . ولعل الصقالبة الخصيان كانوا اوفر عددًا منهم لكثرة من كان يتّجر بهم من اليهود . وكان في دار المقتدر فيما قيل عشرة آلاف خصي من الصقالبة[2] . فما الظن بمن تفرق منهم في سائر المدن الاسلامية ؟

بقي الكلام على اسرى الروم في الحروب التي كانت لا تخمد نيرانها بين العرب والبيزنطيين في الخلافتين الاموية والعباسية . وكان للمسلمين غارات وغزوات متتابعة في كل عام في الشتاء والصيف تعود عليهم بالفتوح والسبايا والغنائم. وكانوا اذا تراخوا وضجروا فيها في بعض الهُدَن ينشط لها من الخاصة فرسان ومقاتلة يتحيّنون لها الفرص الملائمة ويرابطون من اجلها في الثغور وربما عاد احدهم ويده ملأى من النهب والسلب وفي قبضته عدة من الرجال والنساء الذين فاجأهم في ديارهم واقتادهم منها مُقرَّنين في الاصفاد كما تقاد البهائم . ولذلك كثرت الاسرى البيزنطيون وتفرقت جموعهم في انحاء الشام ومصر والعراق. وقد سكت عنهم لسوء الحظ كل من تكلم على الوقائع والغزوات العربية في الخلافة الاموية . ولا نظن ان احد المؤرخين اشار الى وقوع الفداء عليهم مرة كما نبهوا احيانًا على بعض الافدية التي كانت تحدث من مدة لاخرى في الخلافة العباسية ويُقايض فيها رأسًا برأس اذا لم تتم بالاموال . فلا ندري من ثم ما كان حظ هؤلاء السبايا في الغربة وقد اجتمع عليهم فيها ذل الاسر وذل الصغار الذي فرضه الشرع المحمدي على النصرانية في الاسلام .

ويظهر ان اسرى الروم في الدولة الاموية كان عظيمًا جدًا كما يدل على ذلك ما رواه ابن شاكر الكتبي ان « عمر بن عبد العزيز اشترى ملطية من الروم بمائة الف اسير وعمَّرها »[3] . ومن اليقين انه بقي بعدهم بقايا رضخوا

١) احسن التقاسيم ٢٤٣
٢) شذرات الذهب للعماد الحنبلي ٢ : ٢٨٤
٣) فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ٢ : ١٢٢

الى العبودية وعُتقوا منها ورضوا بشقائها ليأسهم من الرجوع الى الاوطان وآثروا التبلّد والبقاء بين اخوانهم في الدين بعد ان تقربوا منهم بالمصاهرة والزواج وامتزجوا بهم امتزاج الماء بالراح. ومن هنا يعلم غلط الذين يزعمون ان الملكيين في الشام ومصر والعراق وسائر المشرق من اصل آرامي بحت لا يخالطه شيء من الدم البيزنطي او الدم اليوناني في ايام الاسكندر . واذا صح بعض هذا الزعم الواهن فأحر به ان يكون في بعض القرى والضياع النائية التي غلبت فيها الصلاة بالسريانية كما تدل عليه مخطوطاتها الباقية ولكنه يبعد جدًا وينتفي افتراضه عبثًا في البلدان التي وقعت اليها فئة من اسرى البيزنطيين .

وكانت اقدار الاسرى الروم ومقاديرهم تزداد من حين لآخر بمن يلجأ الى بغداد من اكابر القوّاد وعظماء البطارقة الذين كانوا يثورون على قياصرة القسطنطينية وينازعونهم تاج الملك ثم يحتمون منهم بعد الهزيمة والخذلان بدار الخلافة . ومن اعظمهم شهرة برداس السقلاروس وهو الذي عرفه ابن الاثير في تاريخه باسم « ورد » . ولما خالف الملك باسيل وعصى عليه التجأ بعد خيبته مستجيرًا بعضد الدولة بن بويه سنة ٣٧٠/٩٨٠ومعه من اصحابه فيما رواه يحيى بن سعيد الانطاكي تقدير ثلثمائة نفس وبقي معتقلًا معهم في بغداد سبع سنوات . واعتُقل كذلك من اجله نيقيفور الاورانس رسول الملك باسيل الى عضد الدولة واحتيط على ما معه حين رُقّي الى عضد الدولة انه قدم ليسم برداس السقلاروس[1] .

وليس لدينا علم تام بكل الافدية التي كانت تحصل من زمن الى آخر بين المسلمين والروم وانما اقتصر المؤرخون على بعضها فقط . وهذه امثلة منها ننقلها زيادة في تعريف احوال اسرى الروم التي وقفنا عليها بعد زمان الرشيد والمأمون .

ففي سنة ٢٣١/٨٤٥ حصل الفداء في زمن الواثق بالله على سلوقية مسيرة يوم من طرسوس . وكانت عدة اسرى المسلمين اربعة آلاف واربعمائة وستين نفسًا « ورضوا عن كل نفس بنفس . فوجّه الواثق الى بغداد والرقة في شراء من يباع من الرقيق فاشترى من قدر عليه منهم فلم تتمّ العدة . فاخرج الواثق من قصره من النساء الروميات العجائز وغيرهن حتى تمّت العدة »[2] .

١) كتاب الذيل ١٥٨–١٥٩

٢) تاريخ الطبري طبعة اروبة ٣ : ١٣٥٢–١٣٥٣

وانما فادى الواثق بن في ملكه او «من قدر» على ابتياعه من سوقي الرقيق في الرقة وبغداد من المماليك الروم ولكن بقي منهم في القصور والدور وفي ايدي الخاصة من لم تسمح نفوس اربابهم بالتخلي عنهم . ومن هينا تتضح صعوبة تخمين جموع الروم الذين كانوا في ديار الاسلام وفي ملك الخاصة والعامة من الخدم والغلمان والوصائف والجواري .

وفي سنة ٢٨٣ /٨٩٦ « كان الفداء بين المسلمين والروم فكان جملة من فُدي به من المسلمين الرجال والنساء والصبيان الفين وخمسمائة واربعة انفس »[١] .

وفي سنة ٢٩٢/٩٠٤ « كان الفداء على يد رستم فكان جملة من فودي به من المسلمين الف نفس ومائتي نفس »[٢] .

وفي سنة ٣٣٥/٩٥٩ « كان الفداء بالثغور بين المسلمين والروم على يد نصر الثملي امير الثغور لسيف الدولة بن حمدان . وكان عدة الاسرى الفين واربعمائة اسير وثمانين اسيرًا من ذكر وانثى . وفضل للروم على المسلمين مائتان وثلاثون اسيرًا لكثرة من معهم من الاسرى فوفاهم ذلك سيف الدولة »[٣] .

وقد انفق سيف الدولة في الافدية التي كانت تكون بينه وبين الروم اموالًا طائلة اتت احيانًا على ما كان لديه تحملها بما طُبع عليه من الكرم والسخاء . وانما ذكرنا مثالًا منها لدخول اخبار اساراه من الروم في تاريخ كنائس الكرسي الانطاكي الملكي .

وكنا نود ان نعلم شيئًا من الخدم والآثار التي تركها الاسرى في البيع والاديار الخاضعة للبطريركية الانطاكية . ولا شك انها كانت جزيلة جليلة لشدة محبتهم لكنيستهم الملكية وصدق تمسكهم بطقوسهم البيزنطية وكانوا يأبون ان يستعوا الى غيرها . وقد تقدم حرص الفراشين منهم الذين كانوا في صحبة المأمون على بناء كنيسة لهم خاصة في مصر[٤] . ولا يبعد ان يكون

١) الكامل لابن الاثير ٧ : ١٥٨

٢) الكامل لابن الاثير ٧ : ١٧٧

٣) الكامل لابن الاثير ٨ : ١٥٤—١٥٥

٤) يؤخذ من شهادة سعيد بن بطريق ان الفراشين الروم كانوا في كل آن ومكان شديدي التعلق بطقوسهم البيزنطية . وكانوا بمصر قبل المراق منذ ايام عبد العزيز بن مروان عامل مصر لشقيقه الخليفة عبد الملك . قال سعيد « وكان له فراشون نصارى ملكية . فاستأذنوه

الاسرى وبينهم القواد والبطارقة قد انشأوا لهم في العراق على طول اغترابهم معابد او مصليات خاصة كانوا يؤثرون التردد اليها ولكن ذهب الدهر بأخبارها وطمس على مواقعها فلم يبقَ لها عين ولا اثر .

ولدينا من الشواهد الدالّة على ما كان للكنائس الملكية في العراق من السعة والغنى ما رواه لنا كتاب اخبار فطاركة كرسي المشرق في جملة كلامه على ابرهيم جاثليق النساطرة قال :

« لما عاد علوان كاتب يونس من الشام قصد اولًا دار الجاثليق فمنعه من الدخول اليها طول نهاره وكان صوم السليحيين ... فراسله عن السبب الموجب منعه فقال الجاثليق : تخرج الى بلاد مصر والشام وتبتاع لبيَع الملكية املاكًا بخمسة عشر الف دينار ؟ والله لا وصلتَ الي الا بعد ان تحمل عشرة آلاف دينار ليكون لي الفضل على الملكية . فتقرر الامر على خمسة آلاف دينار فحملها ودخل اليه . فقال له الجاثليق : اني غِرتُ عليك . فشكره وسأله الصفح »[1] .

وكفى بهذا القول وحده دليلًا على ما كانت عليه كنائس الملكيين في بغداد والعراق من سعة الاملاك وثروة الاوقاف . وهي تنمّ عما كان وراءها من كثرة الانصار ومقدرة الاشياع . ولا غروَ فانها كانت تعتزّ بجاليتها الرفيعة القدر وبالرسل الذين كانوا من حين لآخر يَفِدون عن ملوك الروم الى الخلفاء العباسيين وتستعين بجاههم وثرائهم لاصلاح احوالها وتنمية املاكها وتتقوى ايضًا بمن يلجأ الى بغداد من اكابر القواد وعظماء البطارقة الذين كانوا يثورون على قياصرة القسطنطينية وتستدر منهم الصدقات للازدياد من مقتنياتها واوانيها وذخائرها . ولا يبعد انه كان للجواري الروميات في حاضرة الخلافة نصيب في الاحسان الى كنائسهم البيزنطية . وكان منهن في القصور السلطانية جيش

في بناء كنيسة فاذن لهم فبنوا كنيسة مار جرجس بعلوان وهي كنيسة صغيرة وكانت تسمى كنيسة الفراشين » ( نظم الجوهر ٢ : ٤١ ) وهو ما نكرر حدوثه في زمن المأمون بالتمام والكمال . ففراشو العباسيين هم نظراء فراشي الامويين في المحافظة على صبغتهم الملكية والعناية ببناء معابد خاصة بهم من اجلها . وهي فضيلة يجب ان تسجل لهم بأطيب الذكر والشكر .

[1] اخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل طبعة رومة ١٨٩٩ ص ٩٢-٩٤

تتضاءل بالنسبة اليه قوة جيش الجند وكنَّ دائماً في هذه القصور في سعة من الاموال التي كانت تُنثر عليهن . وقد سبق ان المأمون في عيد الشعانين امر ان يُنثر عليهن ثلاثة آلاف دينار . ولا ريب ان بعض هـذا النثار والدنانير الملتقطة صار الى صناديق الكنائس الرومية صدقة للعيد .

ومما تقدم يتضح جلياً عظم شأن الملكيين في بغداد ومنزلة كنيستهم بين الكنائس الشرقية في عهد العباسيين . ولذلك كان بطريرك انطاكية لا يرى بدّاً من تعيين جاثليق لها تفوق سلطته وجلالته سلطة المطران في بقية المدن العراقية .

## متى نشأت الجثلقة في البطريركية الملكية الانطاكية

ليس لدينا قول ثابت في تعيين الزمن الذي بدأت فيه الجثلقة في الكرسي الانطاكي . وفي تاريخ بطاركة انطاكية للبطريرك مكاريوس الزعيم ان«العادة من زمان الثلثماية وثمانية عشر (يعني مجمع نيقية) ان بطريرك انطاكية يشرطن كاثوليك اكتيسفون»[1] . اي منذ سنة ٣٢٥ وهو قول لا سند له ثابت وفي تاريخ ولده الشماس بولس المخطوط عندنا بقلمه نسختان « في صفة ترتيب كراسي رؤسا كهنة الابرشية الانطاكية » احداهما قديمـة جدّاً في اللغة اليونانية استخرجها الشماس بولس الى العربية ولا ذكر للجثلقة فيها . والثانية « كما هي في اللغة العربية مفسرة من القديم من غير زيادة ولا نقصان من عهد انسطاسيوس الاقدس القديم بطريرك مدينة الله العظمى انطاكية وسائر المشرق » ذكر فيها ان تاريخها سنة٧٩٣٥للعالم الموافق سنة٣٠٥للتجسد الالهي وسنة٨٠٢ للاسكندر . وهذه التواريخ الثلثة غير صحيحة وليس احد منها يوافق الآخر . ومعلوم ان انسطاسيوس تولى كرسي انطاكية مرتين الاولى من سنة٥٥٩ الى ٥٧٠ والثانية من سنة ٥٩٣الى٥٩٩ فيكون تاريخ الترتيب المذكور القرن السادس للميلاد .

وفي هذه النسخة الثانية انه كان « في طاعة بطريرك انطاكية كثالكة اربعة

الاول : المتقدم في الذكر جاثليق مدينة بغداد .

الثاني : كاثوليك الكرج اعني الجرجان .

---

١) خزانة الفاتيكان ٦٨٩ ص ١١٢ .

الثالث : كاثوليك منتاس فرغان ماغاليس ارميناس . اي ارمينية العظمى.

الرابع : كاثوليك سمرقند العجم واعمال الخطا (Cathay) .

وفي كتاب الآثار الباقية لابي الريحان البيروني تعداد بعض الجثالقة في خراسان وذكران كل منهم . قال وبين اسم الذكران والعيد فرق . فان العيد اجل مرتبة والذكران ادون »(ص٣٠٠) ويريد بالذكران التذكار .

وهذه اسماء الجثالقة الذين عرفهم وروى يوم ذكرانهم عند الملكانية اي الروم الملكيين ننقلها كما وردت في كتابه :

١٨ كانون الاول ذكران سيسين الجاثليق الخراساني (٢٩١)

٥ شباط ذكران سيس الجاثليق اول من اورد النصرانية الى خراسان ( ٢٩٤ )

٢٥ نيسان ذكران ايليا الجاثليق بخراسان ( ٢٩٦ )

٣٠ نيسان ذكران شمعون بن صباعي الجاثليق المقتول بخوزستان مع من كان معه من النصارى ( ٢٩٦ ).

وهذه الايام واردة في كتابه دون ذكر السنة فلا نعلم في الحقيقة اي سنة كانت مبدأ جثلقة خراسان . وفي كتاب المجدل لعمر بن متى ان شمعون برصباعي اي ابن الصباغ كانت استناحته اي وفاته يوم جمعة الصلبوت الثالث عشر من نيسان سنة خمس وخمسين وستمائة[1] . واذا كان هذا التاريخ هو للاسكندر يكون موته سنة ٣٤٣ فهل تقدمه في الولاية والوفاة احد الجثالقة الثلاثة المذكورين قبله . وهل في هذه الرواية تصحيح لشهادة البطريرك مكاريوس السابقة الذكر ان جثلقة اكتسيفون – المدائن كانت في الربع الثاني من القرن الرابع . ولا تزال هذه المسألة غامضة الى ان يتسنى لنا الوقوف على ثبت آخر يزيل كل شك .

ولدينا شهادة صحيحة على ان جثلقة سلوقية – المدائن وجثلقة خراسان كانتا معروفتين في اوائل القرن الحادي عشر معرفة مشهورة . وورد ذكرهما في رسالة بطرس بطريرك انطاكية الى دومنيك بطريرك غرادو سنة ١٠٥٤[2] . وكان مقام جاثليق خراسان بادئ بدء في مرو كما تقدم من لفظ البيروني

١) كتاب المجدل ص ١١

٢) L. Bréhier: *Le Schisme Oriental du XI^e siècle*. Paris 1899, p. 238

ومحمد الخوارزمي الكاتب . ثم انتقل الى نيسابور بعد انتقال الإمارة اليها كما يتحصل من قول ابن حوقل « كانت دار الامارة بخراسان في قديم الايام بمرو وبلخ الى الايام الطاهرية فانهم نقلوها الى نيسابور »[١] . ولعلها كانت قبلًا في الشاش (طاشكند) من وراء النهر كما جاء في خبر ابرهيم بن يوحنا الكاتب الذي رويناه سابقاً . وكان في نيسابور كما كان في سلوقية — المدائن وهي تدعى احياناً « بابل » محلة للروم منسوبة اليهم وفيها دار للجاثليق تعرف به ولذلك كان يقال له باليونانية جاثليق روماجيريس (Romagiris) اي جاثليق محلة الروم. فكانت سلطته تتناول ما وراء خراسان وديار الترك الى اقصى المشرق ولهذا السبب ورد عنه في نُسَخ ترتيب اسقفيات الكرسي الانطاكي القديمة انه « كاثوليك سمرقند العجم واعمال الخطا » . وكان تحت يده بضعة اساقفة نص البيروني على ان مقام مطران خراسان منهم كان بمرو وهي اشهر مدن خراسان واعرقها في الدين المسيحي لقول البيروني ان بَرْشَبا القس ورد مرو بالنصرانية بعد المسيح بزهاء مئتي سنة وذكرانه في الحادي والعشرين من حزيران[٢] . وكان اهل مرو متحمسين في مذهبهم شديدي التمسك به نبّه البيروني على اسم احد شهدائهم في عهده فقال «في الرابع عشر من تموز ذكران يوحنا المروزي الحديث المقتول في زماننا »[٣] . والنسبة الى مرو مروزي . ومعلوم ان البيروني توفي سنة ١٠٤٨/٤٤٠

ولم تكن جالية مرو معروفة بصدق اعتقادها وشدة الدفاع عنه فقط بل كان بينها اقوام من ذوي الهمم والفطن تحلّوا بالادب والنظم . ومن شعرائهم الذين طوّحت بهم الخطوب والنوَب واحد فاتنا اسمه قذف به الدهر الى مدينة الرها نقل لنا ابن عساكر خبراً عنه من حديث ابي محمد بن القاسم الشامي قال:

« اجتزت بكنيسة الرها عند مسيري الى العراق فدخلتها لاشاهد ما كنت اسمعه عنها . فبينا انا في طوافي اذ قرأت على ركن من اركانها مكتوباً بحمرة « حضر فلان بن فلان وهو يقول : من اقبال ذوي الفطنة اذا ركبته المحنة انقطاع الحياة وحضور الوفاة . واشد العذاب تطاول الاعمار في ظل الإدبار . وانا القائل :

١) المسالك والممالك طبعة ليدن ١٨٧٣ ص ٣١٢

٢) الآثار الباقية ٢٩٦

٣) « « ٣٠٠

وبي همة ادنى منازلها السهى ... ونفس تعالى في المكارم والنهى
وقد كنت ذا حال بمرو قوية ... فبدّلت الايام بي بيعة ازها
ولو كنت معروفًا بها لم أفرحي ... ولكنني اصبحت ذا غربة بها
ومن عادة الايام ابعاد مصطفى ... وتفريق مجموع وتنغيص مشتهى

فاستحسنت النثر والنظم وحفظتها »[١].

ومن قتلى النصرانية وشهدائها في نيسابور سبعة نقل البيروني ان ذكراهم في الثالث من ايلول[٢] ولا نعلم هل كان قتلهم في عهد الجاثليق ام في غيابه من المدينة . ولا سبيل الى معرفة سنة استشهادهم .

وقد تقدم ان مقتل الجاثليق شمعون بن صباعي كان في خوزستان مع من كان معه من النصارى المقيمين فيه . ولعله قدم اليه لتعهد شؤونهم اذا صح ان مقامه كان في خراسان وان تدبيرهم كان موكولًا اليه . ويؤخذ من رواية ياقوت ان نصارى خوزستان كانوا من الروم الذين اجلاهم سابور ذو الاكتاف لما غزا المدن الرومية ونقل خلقًا من اهلها فاسكنهم نواحي خوزستان »[٣].

وللاب الصعودي سيماون ڤايليه (S. Vailhé) درس ممتع في جثلقة خراسان رجّح فيه ان اول وقت سُمع بها كان في القرن التاسع[٤] .

وقد حُرمنا من كل اثر عنها او اشارة اليها في التركات العربية قبل ان يسعدنا الحظ والتوفيق بتحصيل سيرة مقتل البطريرك خريسطوفورس الشهيد للكاتب الرومي الملكي ابرهيم بن يوحنا باملائه العربي الذي تقدم تلخيصه واختصاره في الصفحات الاولى من هذا الكتاب . ويستفاد منه انه لما بنيت بغداد بين سني ٧٦٢ — ٧٦٦ كان في جوارها في المدائن ( طيسفون ) جاثليق للملكيين فلم يؤذن له ولرعيته بالتحول الى بغداد في جملة من نُقل اليها ونُفوا باجمعهم الى « بلد بعيد من بلاد الفرس يدعى شاش »ثم تكاثرت جموع الاسرى من الروم في بغداد على اثر المغازي والحروب فوقع الجدال بين الملكيين في اين يجب ان يكون الجاثليق الذي كان قبلًا في المدائن وهم أولى به . واشتدت

١) تاريخ ابن عساكر ، ظاهرية دمشق ٢:١١٣
٢) الآثار الباقية ٣٠١
٣) معجم البلدان ٢:٤٩٧
٤) Echos d'Orient X (1907) pp. 90-101

الحاجة الى قيامه في حضرة الخليفة في مدينة السلام . واتفق ان توفي جاثليق شاش في ايام البطريرك اغابيوس بن القعبرون فاقبل من روجرد ثلاثة رسل احدهم قسيس والاثنان شماسان في طلب جاثليق خلف للمتوفى وعلم بقدومهم الى انطاكية اهل بغداد وتخوفوا ان ينفردوا دونهم بالجاثليق . وكان عيسى احد رجالهم الاشداء . وهو الذي انتُدب للبطريركية بعد القعبرون ودعي خريسطوفورس . وكان من اكبر المقاومين في نصب جاثليق لروجرد فتطوع لمناظرة الرسل واقبل الى انطاكية واحتج لدى البطريرك اغابيوس وكان غير مائل لطلب اهل بغداد فتوقف حباً للمداراة وأجل النظر في امر الجاثليق . ثم ادركته الوفاة سنة ٩٥٨ في الغالب وخلفه خريسطوفورس وكان من اول همه معالجة مشكل الجثلقة فاسترضى الفريقين بان نصب جاثليقين احدهما لنيسابور وروجرد والثاني لبغداد .

ويؤخذ من شهادة ابرهيم بن يوحنا الكاتب ان انتقال جاثليق المدائن الى الشاش كان بعد سنة ٧٦٢ وهو ما يستنتج منه ان منصب الجاثليق وتنذر في خراسان كان فارغاً بعد قيام عدة جثالقة عليه كما سبق من كلام البيروني .

ويظهر ان الملكيين في خراسان كانوا من عنصرين ارامي بلدي ورومي بيزنطي من الروم الواردين للتجارة والارتزاق . وكانوا يتلون صلواتهم اما باليونانية واما بالسريانية وهي الغالبة فيما يظهر كما يستدل من مراجعة الالفاظ والمصطلحات الارامية التي نقلها عنهم البيروني في كتابه الآثار الباقية .

## اسماء من عُرف من جثالقة خراسان

روينا آنفاً عن البيروني اسماء الجثالقة سيس وسيسين وايليا وشمعون بن صباعي . وغاب عنا اسماء من قام بعدهم الى حين وفاة جاثليق روجرد في عهد البطريرك اغابيوس بن القعبرون الذي انتقل الى جوار ربه سنة ٩٥٨ وقد نقل لنا ابرهيم بن يوحنا الكاتب الملكي اسم من اختير بعده وهو اوتيكيوس من انطاكية ولكنه اقتصر على تسميته دون ان يضيف اليها شيئاً من اخباره. ويظهر انه قام من بعده « انبا يوحنا » الذي دعاه العجيب . وذكر انه « أُهل لان صار كاثوليكاً على المشرق ».

وبقي منصب الجاثليق في المشرق محفوظاً فيما يظن الى القرن الرابع عشر. وأضيف اليه في زمن لا يتيسر تعيينه لقب « اكسرخس الكرج » كما جاء في شهادة بطريركية نجوميوس مطران دمشق سابقاً التي أرسلت بين سني ١٣٦٤ و١٣٦٧ الى فيلوثاوس بطريرك القسطنطينية وفيها تواقيع احبار الكرسي الانطاكي بانتخابه نجوميوس المذكور وفي مقدمتهم « جرمانس جاثليق روما جيريس واكسرخس البلاد الكرجية »[1] . ويظهر ان هذا المنصب سقط وزال بعد ذلك لانه لم يرد له ذكر في جرائد اسقفيات البطريركية الانطاكية التي كتبت في القرون التالية ولا سيما في القرن الثامن عشر .

## جثالقة المدائن وبغداد

ذكر البطريرك مكاريوس الزعيم الحلبي في كتابه « النحلة » انه وجد في كتاب قوانين الكنيسة الشرقية بالرومي في الرسالة التي ارسلها جناديوس القديم بطريرك القسطنطينية الى ساير روسا كهنة المسكونة الذين كانوا وتقلدوا في ايامه وكان مضمونها ان لا يأخذوا على الشرطونية شيئاً وكتبوا فيها ساير روسا الكهنة وتقلدوا خطوط ايديهم بارتضائهم بذلك انه كان من جملتهم ... فوتيوس كاثوليك بابل ... »[2] . وهم يسمون احياناً المدائن وسلوقية « بابل ».

وكان في المدائن سنة ٧٦٢ حين بناء بغداد جاثليق لم يحفظ اسمه نُفي مع رعيته الى الشاش كما تقدم في سيرة مقتل البطريرك خريسطوفورس لابرهيم بن يوحنا الكاتب . ولا تعرف سنة وفاته .

وفي زمان البطريرك الانطاكي ايليا حوالي سنة ٩١٠ كان في بغداد جاثليق يدعى يوحنا ورد ذكره في تاريخ ابن العبري في روايته السريانية[3] وله خبر طريف في ترجمة ابرهيم جاثليق النساطرة المتوفى سنة ٣٢٥/٩٣٧ قال فيه ماري ابن سليمان :

---

1) Miclosich et Muller : *Acta patriarchatus Constantinopolitani*, Vienne t. I, p. 465.

٢) خزانة الاباء اليسوعيين في بيروت رقم ١٦١١ ص ٤٢

3) *Chronicon Ecclesiasticum*, éd. Lamy, t. II, p. 236

« منع الجاثليقَ رئيس الملكية من التسمّي بالجثلقة ومن ان يسِم اسقفًا وجعل عليه الرصد ترّاع بيمنه (بوّابها) وفي بعض الليالي عرّفه ان هوذا يسِم اسقفًا على سالو فهجم عليه في المذبح وهو يسِم وحمله الى الشرطة . وحضر وجوه النصارى وتجاذبا مجاذبة توسطها السلطان وناظره وافلج بالحجة . وكتب على بني[1] سجلًا ان لا رئاسة له في مدينة السلام وأرمه مال . وفي بعض المجالس ضجر علي بن عيسى (وزير الخليفة) فقال لا فرق بينكما عندي (اي بين الجاثليقين النسطوري والملكي) فأبلس ابرهيم عن الجواب . فقال له ابن المطلب الهاشمي سرًّا : ان خلصتك عليك الف درهم ؟ قال. صفرًا[2] فقال الهاشمي : « أعيذ بالله الوزير ان يتصور هذا. النسطور سلْمٌ لنا والملكية حرب فكيف نسوّي بينهم »[3] فقال اصطفن[4] لاخيه لم نفارقنا حتى أغريت بدمائنا . فان هذا القول سمعه من حضر من القضاة والفقهاء وغيرهم .

وبلغ ابرهيم ما يجب . وكتب له المنشور وانصرف مكرّمًا وفرّق مالًا . والسجلّ في دار الجثلقة »[5] .

وانما قال الهاشمي « الملكية حرب لنا » لان الملكيين كانوا معروفين بانتمائهم الى زعيمين كان كل منهما عدوًّا للاسلام وهما قيصر الروم الذي كان في حرب مستمرة مع الخلافة العباسية . وبابا رومة وكان مشهورًا بتحريضه الدائم على قتال العرب للدفاع عن الاماكن المقدسة . وكانت الدواوين السلطانية في بغداد تصف القيصر في كتاباتها بانه من رؤساء المذهب الملكي والبابا بطريرك الملكيين[6]

واذا قدّرنا ان اعتداء النسطوري على الملكي كان في اول سنة من وزارة علي بن عيسى بن الجراح للخليفة المقتدر بالله تكون المشاجرة بين الجاثليقين قد حدثت سنة ٣٠١ للهجرة اي ٩١٣ — ٩١٤ للميلاد بعد اربع سنين تقريبًا من

---

١) في المتن المطبوع « وكتب على بن سنجلا » وهو ما يوهم الصحة لان ابن سنجلا كان من كتاب النساطرة . ولكن في المتن المخطوط في خزانة باريس « وكتب على بنى سجلا » بالباء والالف المقصورة . ولا شك ان الاصل بنيّ بالياء المثناة والنون المشددة المكسورة اي يوحنا وهو اسم جاثليق الملكية يومئذ في بغداد .

٢) لعل الاصل « وصفرًا » اي عشرة آلاف درهم .

٣) في الاصل المطبوع « أعيذ الله الوزير ان يتصور هذا النسطور سلما لنا والملكية حربا» وهو ما ينقلب به المراد الى ضده والأولى ما اثبتناه اعلاه .

٤) لا يُعرف من هذا اصطفان ولعله كان شقيق الجاثليق يوحنا

٥) اخبار فطاركة المشرق ٩٢-٩٣

٦) صبح الاعشى للقلقشندي ٥:٣٠٨ و ٤٠٨ و ٤٧٢ — ١٣ : ٣٧٧

تولى يوحنا الجثلقة ، ولا يعرف متى كانت وفاته وهل اقام في بغداد ام نزح عنها . ولم نهتد الى اسم من خلفه في منصبه .

وكان للنساطرة في زمانه نفوذ عظيم في حاضرة الخلافة وتفوق طائل على سائر النصارى من ملكية ويعاقبة لان معظم كتّاب العباسيين واطبائهم كانوا منهم . وكانت العهود والتواقيع التي تكتب لهم « عن الديوان العزيز النبوي » تسجّل لهم هذه الزعامة ليس في العراق فقط معقلهم الحصين بل في كل ديار الاسلام . وفي دعوى كتّاب النساطرة ان هذا السبق او الفضل الذي كان لهم على كل النصارى « نطقت به المناشير المقررة في ايام الخلفاء الراشدين » كما كانوا يسطّرونه باقلامهم في العهود التي كانت تعطى لجثالقتهم . واقدم عهد اتصل بنا من هذا القبيل هو بتاريخ ربيع الاول سنة ٤٦٧ (١٠٧٤م) وهو من انشاء ابي سعيد بن موصلايا اشهر رؤساء كتابهم في الديوان . وقد توسع فيه ما شاء في وصف تقدم النساطرة على الملكية واليعقوبية ننقل اهم ما فيه لمحلّه الاثير في تاريخ النصرانية في الاسلام . قال :

« واوعز (امير المؤمنين) بترتيبك جاثليقاً لنسطور النصارى بمدينة السلام وبسائر البلاد والاصقاع وزعيماً لهم وللروم واليعاقبة طرّاً . ولكل من تحويه ديار الاسلام من هاتين الطائفتين ممن بها يستقر واليها يطرا . وجعل امرك فيها مُمتثلاً . وموضعك من الرئاسة عليهم متأثّلاً . وان تنفرد بالتقدم على هذه الطوائف اجمع . ليكون قولك فيما يجيزه الشرع فيهم يُتقبّل واليك في احوالهم يُرجَع . وان تتميز بأهبة الزعامة . في مجامع النصارى ومصلياتهم عامة . من غير ان يشركك فيها او يشاكلك في النسبة الدالة عليها مطران او اسقف للروم او اليعاقبة لتغدو شواهد ولايتك بالاوامر الإمامية بادية للسامع والناظر . وآثار قصورهم عن هذه الرتبة التي لم يبلغوها كافّة للمجادل منهم والمناظر . ومنعوا بأمرهم من مساواتك في كل امر هو من شروط الزعامة ورسومها . والتزيي بما هو من علاماتها ووسومها . اذ لا سبيل لاحدهم ان يعد في مباراتك باعه . ولا ان يخرج من الموجب عليه من الطاعة لك والتباعة . وحملك في ذاك على ما يدل عليه المنشور المُنشأ لمن تقدمك المُمضي لك ولكل من يأتي بعدك . المجدّد بما حواه ذكر ما نطقت به المناشير المقرّرة في ايام الخلفاء الراشدين صلوات الله عليهم اجمعين . لمن تقدمك في مقامك . واحرز سبق منزلك ومرامك . من كون المنصوب في الجثلقة اليه الزعامة على ما تضمّه ديار الاسلام من هذه الفرق جمعا . والمنصوص عليه في التقدم الذي ليس لغيره من رياضه مرعى . »[1]

وليس وراء هذا التهويل والتطويل محل الزيادة والاغراق في تأدية المعنى

---

١) صبح الاعشى للقلقشندي ١٠ : ٢٩٧–٢٩٨

الواحد وقد استوفاه ابن حمدون باقل من هذا الهذر واللغو واوجز في عهد عبد يشوع الجاثليق فقال في خطابه :

« برز الإذن الإمامي الاشرف – لا زالت اوامره بالتوفيق معضودة – بترتيبك جاثليقاً لنسطور النصارى بمدينة السلام . ومن تضمّنه ديار الاسلام . وزعيماً لهم ولمن عداهم من الروم واليعاقبة والملكية في جميع البلاد . وكل من حاضر فيها وباد »[1] .

ومع كل هـذه الاوامر والاحكام الجائرة لم تكن سلطة الجاثليق النسطوري تتجاوز فعلاً حدود العراق ولكنها كانت في بغداد تتعدى كل طور في بعض الاحوال وتبلغ منتهى العجرفة في الدعوى والفظاظة في الإدلال . فلا غرو ان كان جاثليق الروم الملكيين ضاق بها احياناً ذرعاً وحالت بين سلطته ومقدرته في العناية بالكنائس وتدبير الرعايا . ولم يكن جاثليق اليعاقبة اسعد منه حظاً او اطلق يداً . وهذا مثال مما كانوا يعاملون به من كان يتصدى لمقاومتهم والدفاع عن حقوقه منهم .

اتفق في عهد سبريشوع الجاثليق المعروف بزنبور ( ١٠٦١ – ١٠٧١م ) ان جاثليق اليعاقبة توما هبّة زوّج ابنة ابي غالب الطبيب النسطوري بابن ابي طاهر البلدي اليعقوبي . فلما درى بذلك سبريشوع انكره اشد الانكار وعاتب توما فقال له توما : نحن رئيسان لشعبين وبيعتين . فلما سمع منه هذا الجواب تضرّم غيظاً وقامت قيامته « وجمع كافة الشعب النصارى رؤساءهم وزعماءهم وجماعة الطب فتقدم اليهم ان لا يقصد كاتب ديوانه ولا طبيب بمارستانه ولا تاجر دكانه ومعيشته . ووقع التظلم على اهل هذه النحلة الى الامام القائم بأمر الله تعالى رحمة الله عليه واظهرت الحجة والمنشوران المكتوبان لهم احدهما في ايام المقتدر . والآخر في ايام القادر بالله في ايام ابراهيم ويوانيس الجاثليقين . وعند تصفح ذلك تقدم ( الخليفة ) بكتب منشور لهذا الاب سبريشوع يضمن دخول زعيم اليعاقبة والملكية في طاعته والائتمار له . وتقدم الى هذا الجاهل الهرطيق المتعدي طوره بقصد باب الجاثليق وصحبته اصحابه ليعتذر اليه مما جرى منه . وكان ذلك في الصوم الكبير وحضر في القلاية جماعة الرؤساء البغداديين والمشايخ المؤمنين . وعند حضور اليعاقبة معهم اوصلوا الى القلاية وتحدث

١) التذكرة الحمدونية . بريتش موزيوم Or. 3179 f° 31ᵇ

الفريقان الحديث الزائد وبجل هذا الجاثليق عليه غاية التبجيل . فاما بمّة الجاني لما اوصل تلك الليلة بات في بيت مار ماري السليح عليه السلام في دار الروم كافلًا ( اي صائمًا ) بعد ان اخرج له شمعة ومأكل فامتنع من الافطار وقال لا طريق الى اخذ الغذاء دون ان يقع الرضى . فلما كان من الغد اوصل واعتذر وقُبِل عذره وخلع عليه . وعند خروجه من القلاية وعبوره الى قلايته اعترضه اصحاب الامير ايتكين السلاني شحنة بغداد وحبسه . فعرف الجاثليق ذلك فقصد دار هذا الامير وخلّصه من يده وكان ذلك امتعاضًا لما تم على الجاثليق.[1]

وهذه الفتنة التي اثارها النسطوري واضرم نارها والّب فيها الرجال وعطّل الدواوين والبيمارستانات والاشغال وامر منها بمثل ما يحدث اليوم من مشاغب الاعتصاب والاضراب عن كل خدمة وتجارة ومهنة . وشدّ على يده فيها « مدير الشحنة » من اجل كلمة قالها اليعقوبي بكل حق هي من اغرب الحوادث التي كانت تحدث بين فِرق النصارى في الاسلام واول البينات على ما بلغ اليه اشياع نسطور في الخلافة العباسية من العتوّ والطغيان والاعتزاز بالسلطان والاحتماء بكتابهم في الدواوين والاعمال لاهتضام من كان خارجاً عنهم من الكنائس الشرقية وابتذاذ حقوقهم « في ظل الديوان العزيز النبوي » . ومن انكإ الحسرات ان يكون فاتنا اشال لها ونظائر تنبئنا عما كان يجري قديمًا من الخوارق والغرائب بين الملل المسيحية التي فرّقها الشقاق والعناد وجمعها في ذمة الاسلام الذل والصغار وزاد في شقائها واختلافها شيطان المكايد والدسائس .

ولا يدرى من قام في مدينة السلام بعد يوحنا الذي ضغط عليه الجاثليق ابرهيم النسطوري ونازعه حق الرئاسة في بغداد وسيامة الاساقفة للكنائس الملكية في العراق . ويؤخذ مما سبق من كلام ابرهيم بن يوحنا الكاتب انه في زمان البطريرك اغابيوس القعبرون كان كرسي الجثلقة في حاضرة الخلافة شاغرًا . ولما قام البطريرك خريسطوفورس اختار له سنة ٩٥٩ في الغالب علمانيًا من حلب يدعى ماجد فاتنا اسمه الكهنوتي كما فاتنا تاريخ وفاته .

---

[1] اخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل لماري بن سليمان . رومة ١٣٥-١٣٦

ومن خلفائه في فاتحة القرن الحادي عشر جاثليق كان يدعى ايضاً يوحنا ذكره الراهب نيكن في كتابه التيكون الصغير في الباب السادس والعشرين كان في زمان نقيفورس الماجسطرس دوقس انطاكية . وكان ولاية نيقيفور كما في ذيل يحيى بن سعيد الانطاكي في اوائل المحرم سنة ٣٩٠ (٩٩٩م) ومن الغريب الطريف ان نيكن زعم في كتابه المذكور ان يوحنا آثر التنزل عن الجثلقة لان الخليفة سامه تعميد ابنه . وكان اهل بغداد فيما قيل يعتقدون ان الطفل المسلم اذا عمّده النصارى طالت حياته . وهو ما رواه نيكن في الباب الحادي والعشرين في جوابه على سؤال القاه عليه قسيس اللاذقية عن اطفال المسلمين « وانهم يطلبون عمادهم لا حسنَ يقين منهم بالمعمودية ولكن تخيُّلا ان بواسطة المعمودية يعيشون زماناً اكثر واطول . » قال نيكن واستخبر من قوم ذوي معرفة من يعرف يوحنا جاثليق بغداد الذي كان في ايام نيقيفور دوقس انطاكية الماجسطرس . وجسده اعني هذا الجاثليق مدفون في ارشايا . هذا كان سبب استعفائه من الجثلقة هو ان امير المؤمنين التمس منه تعميد ولده ليحيا . فاستخبر خبره تجده عجيباً ونافعاً ولو كنت قربي كنت اشرح لمحبتك هذا الخبر منفعة لك ولغيرك »[1]

وسواء صحَّ هذا الزعم او كان تخلّي يوحنا عن الجثلقة لسبب آخر فالارجح انه بعد استقالته اعتزل في انطاكية ومات فيها ودفن في دير ارشايا في جوار انطاكية وهو الدير الذي دفنت فيه جثة خريسطوفورس الشهيد بعد مقتله قبل نقلها الى كنيسة القديس بطرس الرسول.

وقد اغفل البطريرك بطرس الرابع اسم من كان في بغداد في ايامه سنة ١٠٥٢ حين ذكر جاثليقي العراق وخراسان في رسالته الى دومنيك بطريرك غرادو كما روينا آنفاً . ولا نعلم هل توفي هذا الجاثليق في عهده ام في ايام البطريرك تاودوسيوس الثالث قريباً من سنة ١٠٥٧ وعلى كل يتحصل من شهادة نيكن ان تاودوسيوس همَّ ان يقيم جاثليقاً في بغداد خلفاً للمتوفى . وهذا نص ما قصه في كتابه المشار اليه في الباب الحادي والثلاثين في رسالته الى الراهب كير باسيل :

---

[1] نقلنا هذه الشواهد كلها من كتاب التيكون الصغير لنيكن حسبما اقتطفها منه الشماس بولس الحلبي في كتابه تاريخ انطاكية المخطوط بقلمه عندنا .

« استدعاني البطريرك اباتاودوسي وما كان عارفاً باموري معرفة بليغة ولا وقف على قصدي . ورأى اول ما فاتحني ان ينفذني الى بغداد جاثليقاً وان يشرطني قسيساً . وانا لمعرفتي بنفسي وعلمي بنقصي عرفته اني غير مستحق للكهنوت . ثم انثنى عن رأيه الاول واستقر رأيه ورأي جميع سينودسه والملانيين ايضاً وكافة الشعب ان يسيمني قسيساً ويقلدني النظر في سائر الاديرة البرانية والجوانية والنسائية ايضاً واكرمني على ذلك »[1] .

وحبذا لو كان نسكن نقل لنا اسم من اختاره البطريرك تاودوسيوس بدلًا منه لجثلقة بغداد . ولا ريب ان هذا المنصب الخطير لم يخلُ في الغالب من مدبّر له حتى القرن الرابع عشر . تولّاه من مدة لاخرى اقوام نجهل اليوم انسابهم والقابهم تتابعوا عليه حتى خراب بغداد على يد التتار . لانه يمتنع الاحتمال ان تكون حاضرة الخلافة العباسية خلت حيناً من جاثليق للروم على كثرة من كان فيها من الملكيين البلديين والطارئين

وما عتم منصب الجاثليق ان ضعف جدًّا وتلاشى بعد خراب بغداد على يد تيمور سنة ٨٠٣ / ١٤٠١ ويظهر ان لقب الجاثليق او الكاثوليك انتقل الى مطارنة حلب دون ان نعلم السبب هل كان لقرب الجوار ام لاعتبار آخر . وفي خزانة القبر المقدس مخطوطات دينية ورد فيها ذكر « الكاثوليك كيرملاتيوس الحلبي الثاني » بتاريخ سنة ١٦٤٦ ولما التأم المجمع الارثذكسي بدمشق سنة ١٨٩٧ لاسقاط البطريرك سبيريدون كان في جملة اساقفته سيرافيم مطران ايرينوبوليس[2] لقب مدينة السلام بالرومية . وهو ما يدل على ان رتبة جاثليق بغداد صار مساها الى مطارنة حلب وبقي لقب المطران عليها محفوظاً مستقلًا يقلد به البطريرك الانطاكي من شاء من اساقفته .

## كنائس الجاثلقة واديارهم في العراق

كان العراق حافلًا بالبِيَع والاديار كما تشهد بذلك ملأ الكتب الموضوعة في الديارات . ومن الشقاء ان يكون اكثرها قد ضاع ولم يسلم لنا منها الا ما نقله عنها ياقوت في معجم البلدان وشهاب الدين العمري في مسالك الابصار . وهي نُتَفٌ لا تغني عن الاصول . والاصل الوحيد الذي افلت من عوادي الدهر بعد ان اختزل منه قطعة سقطت من النسخة اليتيمة في برلين كتاب الديارات

١) كتاب التيكون الصغير .

٢) الحقائق الوفية في تاريخ الكنيسة الانطاكية الارثوذكسية ٧٣

للشابشتي . وهي كلها خالية من كل اشارة الى مواقع كنائس الروم الملكيين وديارهم في بغداد وانحاء العراق لقلة احتفال مؤلفيها بالتنبيه على نسبة كل معبد وكل دير الى احدى الفرق الثلاث النصرانية الا في مــا قل وندر . وهم في الغالب لا يهمهم الا وصف الشراب والتنزل بالرهبان الاحداث والراهبات ولذلك فاتنا كثير من الفوائد والاوصاف التاريخية التي كنا نرجو العثور عليها في امثال هذه المصنفات الموضوعة في الديارات .

واوحد ما وقفنا عليه من اسقفيات جثلقة بغداد ذكر «سمالو» في كتاب المجدل لعمر بن متى . وهي التي أعجل الجاثليق يوحنا كما تقدم[١] عن إصلاح اسقف لها وعُدّت في جملة الاديار . وهو الدير المشهور في رقة الشماسية شرقي بغداد روي اسمــه بالصاد «صمالو» . وفي فتوح البلدان للبلاذري «ضمالو»[٢] بالضاد وهو لا شك غلط طبع . حكى ياقوت في اصل بنائه «ان الرشيد غزا في سنة ١٦٣ (٧٧٩—٧٨٠) اهل صمالو فسألوا الامان لعشرة ابيات فيهم القومس[٣] وان لا يُفرَّق بينهم فأجابهم الى ذلك . فأُنزلوا ببغداد على باب الشماسية فسمّوا موضعهم سمالو غيّروا الصاد بالسين وبنوا هناك ديرًا»[٤] . وفي تاريخ الطبري ان صمالو او سمالو اسم قلعــة كانت بأرض الروم وحكى غزاة الرشيد لها[٥] ووصف ياقوت دير سمالو فقال :

«هو دير مشيد البناء، كثير الرهبان وبين يديه أجمة قصب يُرمى فيها الطير . قال احمد بن عبدالله البديعي يذكره :

هل لــك في الرقــة والدير ... دير سمالو مسقــط الطــير

وقال ايضاً فيه :

الدير دير سمالو للهوى وطرٌ ... بَكّرْ فان نجاح الحاجة البَكَرِ
اما ترى النيم ممدودًا سرادقه ... على الرياض ودمع المزن يَنْتَثِرُ
والدير في لُبُس شتى مناكبه ... كأنما نشرت في افقه الحِبَرُ
تألفت حوله الغدران لامعــة ... كما تألف في افنــانه الزهر
اما ترى الهيكل المعمور في صُوَرٍ ... من الدُمى بينها في أنسه صُوَرُ»[٦]

---

١) اخبار فطاركة المشرق ٩٢-٩٣
٢) طبعة اروبة ١٧٠
٣) من اللاتينية comes
٤) معجم البلدان ٣: ٦٧٠-٦٧١
٥) تاريخ الرسل والملوك ٣: ٥٠٤
٦) معجم البلدان ٣: ٦٧—٦٧١

والشماسية التي كان الدير في رَقْتها – اي في البستان المقابل للتاج من دار الخلافة قديماً – منسوبة الى بعض شماسي النصارى وهي مجاورة لدار الروم التي في اعلى مدينة بغداد[1].

وذكر الشابشتي هذا الدير فقال :

« هذا الدير شرقي بغداد بباب الشماسية على نهر المهدي وهناك ارحية للماء وحوله بساتين واشجار ونخل . والموضع نزه حسن العمارة آهل بمن يطرقه ويمن فيه من رهبانه . وعيد الفصح ببغداد فيه منظر عجيب لانه لا يبقى نصراني الا حضره وتقرب فيه . ولا احد من اهل الطرب واللهو من المسلمين الا قصده للتنزه فيه . وهو احد متنزهات بغداد المشهورة ومواطن القصف المذكورة . ولمحمد بن عبد الملك الهاشمي فيه :

وربَّ يوم في سمالو تم لي فيه السرور وغُيِّبت احزانه
واخٍ يشوب حديثه بحلاوة تلتذ رجع حديثه ندمانه
جمل الرحيق من المدام شرابه والمحسنات من الاوانس شانه
بكرت علي به الزيارة فاغتدى طرباً الي ومرني اتيانه
فامرت ساقينا وقلت له أسقنا قد حان وقت شرابنا واوانه
فتلاعبت بعقولنا نشواته وتوقدت بخدودنا نيرانه
حتى حسبت لنا البساط سفينة والدير ترقص حولنا حيطانه

وللخالدي الكاتب فيه :

يا منزل القصف في سمالو مالي عن طيبك انتقال
واهاً لايامك الخوالي والعيش صاف بها زلال
تلك حياة النفوس حقاً وكل ما دونها محال[2]

واقتصر العمري في كتابه مسالك الابصار على نقل ما رواه الشابشتي ولم يزد عليه حرفاً . فهل لم يكن لديه كتاب الديارات للاصبهاني وديارات الخالديَين ام لم يرد ذكر لدير سمالو في هذين الكتابين . ولعل ضياعهما سبق زمان العمري ولذلك لم يرد ذكر لهما في مسالك الابصار .

وغاية ما يستفاد من اشعار الشعراء في دير سمالو انه كان كثير الرهبان . وهو ما يدل على اتساع اسقفيته ووفرة المنتسبين اليها . وقد امتاز ايضاً بغنى الدمى التي فيه وجمالها اي صُوَره البزنطية . وهي كانت وتتنذ حلية كل كنيسة ودير وموضع اعجاب كل الزوار والاضياف . وليس في بقية اوصاف الشعراء الا

١) معجم البلدان ٣ : ٣١٧

٢) كتاب الديارات نسخة خزانة برلين رقم ٨٣٢١ الورقة ٤–٥

نعوت الخمر والحث على القصف والسكر . ومع ما يتولى سامعها من الأنفة والانقباض لخلاعتها احياناً وتكرارها على وتيرة واحدة لا يسعه الا الرضى والسكوت لانه لولاها لجهل كثيرًا من اسماء الديارات واخبارها ومواقعها لضياع كل الآثار النصرانية عنها وذهابها طعمة للنار في الفتن والثورات التي كانت تهتك كثيرًا حرمة البيع والاديار وتبدد ما فيها بايدي السلب والنهب والتعصب الاخرق .

وكان في الرقة نفسها التي قام فيها دير سالو دير آخر دعاه الشابشتي دير « درمالس » بالدال والراء واللام وعنه نقل ياقوت . ورواه العمري في مسالك الابصار « دومالس » بالدال والواو وكلاهما تصحيف لانه لا يعرف قديس شرقي بهذا الاسم بين قديسي الفِرَق النصرانية الثلاث . والصحيح « رومانس » كما نبهنا عليه في كتابنا « الديارات النصرانية في الاسلام »[1] وهو اسم احد شهداء النصرانية في القرن الثالث (saint Romain) واسم اربعة من قياصرة الروم ايضاً بين القرنين العاشر والحادي عشر . وكان معروفاً في الشرق المسيحي .

ويستدل من هذا الاسم وجوار الدير للشماسية ولدار الروم ان دير رومانس كان للملكيين مثل دير سالو . وقد اقتصر ياقوت والعمري على حكاية ما وصفه به الشابشتي في كتاب الديارات نسخة برلين وهو قوله :

« هذا الدير في رقة باب الشماسية ببغداد قرب الدار التي بناها الديلمي احمد بن بويه بباب الشماسية . وموقعه احسن موقع وهو متنزه كثير البساتين والاشجار وبقربه اجمة قصب . وهو كبير آهل برهبانه وقسانه والمتبتلين فيه[2] وهو من البلدان المعمورة بالقصف والمقصودة بالتنزه والشرب » .

واعياد النصارى ببغداد مقسومة على ديارات معروفة . منها اعياد الصوم فالاحد الاول منه عيد دير العاصية وهو على ميل من سالو . والاحد الثاني دير الزريقية . والاحد الثالث دير الزَّنْدَوَرْد . والاحد الرابع دير رومانس هذا وعيده احسن عيد تجتمع نصارى بغداد اليه ولا يبقى احد ممن يحب اللهو والخلاعة الا تبعهم . ويقيم الناس فيه الايام ويطرقونه في غير الاعياد . ولابي عبدالله بن حمدون فيه :

١) ص ٤٤

٢) ورد مثل هذا الوصف بلفظه في الكلام على دير سالو .

يا دير رومانس ما احسنك وبا غزال الدير ما افتنك
لئن سكنت الدير يا سيدي فان في جوف الحشا مسكنك
ويحك يا قلب اما تنتهي عن شدة الوجد بمن احزنك
ارفُقْ به بالله يا سيدي فانه من حَيْنِهِ مكّنك

وكان من خبر هذا الشعر ما ذكره احمد بن خالد الصريفيني قال :

« كنا عند ابي عبدالله بن حمدون في الوقت الذي نقاه فيه المتوكل فتذاكرنا الديارات وطيبها وحسنها في الاعياد واجتماع الناس اليها . فقال قد والله شهّيتني حضور هذه المواضع والتفرج فيها والتسلي بها . فاي دير حضر عيده ؟ قلت دير رومانس وغداً عيده . قال فعلى بركة الله . فاعددت جميع ما يحتاج اليه ويصلح له . وبكّرنا الى الدير ونظرنا الى اجتماع الناس وتعييدهم وانصرف من انصرف واقمت معه في الدير ذلك اليوم ومن غده . وجلسنا منه مجلساً يشرف على تلك البساتين والمزارع فشرب وطابت نفسه وحضره من احداث الموضع من كان يقضي لنا الحاجة ويحيينا بالطرفة والتحية[١] . فشغف بهم واستطاب وقته معهم وقال الابيات »[٢] .

ولهذا الوصف الصادق اشباه وامثال عديدة لما كان يجري في الاعياد المسيحية في ديار الاسلام من الغرائب والمحارم لاختلاط الغرباء بالمتدين من الرجال والنساء . وإقبال «كل من يحب اللهو والخلاعة » كما سبق من لفظ الشابشتي على المشاركة فيها وانتهاز كل فرصة تسنح للمغازلة والمداعبة دون اقل مبالاة بحرج الوقت وحرمة المكان . ولم يكن في وسع ارباب الاديار صيانة محافلهم ومعابدهم من مثل هذا الاخراق والابتذال لان الشرع فيما زعموا كان اوجب عليهم تلقّي كل عابر سبيل وضيافة كل طارق ثلاثة ايام دون ان يكون لهم اقل حق بصيانة منازلهم من العامة وذوي الريبة . فكانت ابواب الكنائس والديارات مع ما يلحقها من الحانات المنشأة لبيع الخمور والدور المعدة للإنزال والضيافة مفتوحة نهاراً وليلاً يدخلها من شاء البقاء والتسلي او رام التنزه ومعاقرة الشراب على نغمات الاوتار . فكانت خلوات الزهاد والعباد بفضل حكم الشرع اشبه ببيوت الريبة تُقترَف فيها ضروب المنكرات وراء جدران القلايات وحُجَر الصلاة والصيام . ولا يخفى على احد ما كان يلحق المتبتلين والزهبان من

١) يراد هنا بالتحية طاقة الازهار والورود التي كانت تهدى لمن اريد تحيته وملاطفته . طالع الفصل المعقود عليها في كتابنا الديارات النصرانية في الاسلام ص ٤٤–٤٩

٢) ديارات الشابشتي خزانة برلين رقم ٨٣٢١ الورقة الاولى .

اجلها من العار وسوء الظنة ويتلبّس بهم من اخطار الفتنة والضلال.

ولم يرد في كتاب الشابشتي اقل ذكر لديرَي العاصية والزريقية . ويظهر ان كل كتب الديارات كانت خالية منها ايضاً ولذلك سكت عنها ياقوت والعمري . ومن دواعي الاسف ان تُغفَل اخبارهما مع ما كان لهما من الشهرة وعليها من الإقبال فلا ندري هل كان احدهما ملكياً . وقد سبق ان ولع الناس بديرَي سمالو ورومانس كان عظيماً ولا عجب في ذلك لما هو معروف من غنى الديارات الرومية ببدائع الصور وجلالة الطقوس وأبّهة الملابس الكهنوتية وطيب الانغام البزنطية وهي اذا قيس اليها انغام النساطرة واليعاقبة كانت من اروع الفنّ للسامع والناظر .

ومن الغريب انه كان في الجانب الشرقي من بغداد بيعة كبيرة حسنة تدعى دير الروم يستدل من اسمها انها كانت للملكيين ولكن ياقوت صرّح بانها كانت للنسطورية وبجانبها بيعة اخرى لليعقوبية . قال « والاصل في هذا الاسم ان اسرى من الروم قُدِم بهم الى المهدي وأسكنوا دارًا في هذا الموقع فسيت بهم وبنيت البيعة هناك وبقي الاسم عليها »[1] . ويصعب علينا اليوم ان نفهم كيف لم يكن فيها بيعة للروم على قرب الجوار وتقدم السكنى . ولعل الايام تكشف لنا بعض الآثار الدفينة المهملة فتجلو ما غمض من وجوه التاريخ الملكي وتتم ما نقص من اخبار الجثالقة في العراق .

١) معجم البلدان ٢: ٦٦٢

# الآثارُ المطويّة

جمَعَها وعلّق عليها ونشرَها

الاب انطونيوس شبلي اللبناني

رئيس انطوش جبيل

## تصدير

يطل المرء على الوجود ، فيرى النور غامرًا المعمور ، من جبال وتلال ، وأغوار وأنجاد ، ورياض وسهول ، كاشفاً عن جمال الطبيعة بما فيها من لطائف وطرائف ، ومحاسن ومفاتن ، حتى اذا ما شبَّ أدهشته بدائع الخالق في مخلوقاته ، وسبَح طائر خياله في أُفق بعيد المدى ، تهزهزه لذَّة المتعة، وتستنيمه سكرة الغبطة . ثم ينطوي على نفسه ، فينفرج له الوجود عن مسرح طلق فسيح تقصر العين عن مداه ، تطأ ارضه الملايين من الناس على اختلاف حالاتهم ومشاربهم وأديانهم ، تارة تستفزُّهم الافراح فيصفّقون ويرقصون ، وطورًا تقعدهم الاتراح فيتململون ويبكون. وهم يعيشون بين آلام وآمال ويأس ورجاء ، ومنازعة ومواقعة وموادعة ومسالمة ، ويتجاولون ويضجّون في معترك الحياة الصاخب الزاخر بشتّى الاهواء والمنازع . ونَدَرَ ما ينتبه المرء الى انه في نهاية شوطه مفقود ، تلك سنّة الله من قبل ومن بعد الى ان يقضي قضاءه وتطوى رقعة الوجود .

والناس فئتان : فئة تستغوي أصحابها مباهج الحياة فتستطيل أعناقهم الى التمتع بطلعة محيّاها والانتشاء بجرعة حُميّاها ، فيستسلمون الى اللذات تقودهم يد الاغواء والاغراء الناعمة الى الغرق في لجّة نعيمها الزائل ، ويغفلون عن انهم معرَّضون للتردّي في المزالق والمهابط ، من حيث لا يشعرون وهم أحياء بأنهم اموات ، كأنهم وُجدوا للاستمتاع بالعيش الرحراح في منازل الافراح ، لا

بأسرهم سواه ، ولا ينصرفون إلا الى نيل مناه ، فيخالون غبش الليل نورًا وحصول اللذة سرورًا ، لأن بصرهم الكليل لا يخرق ظلمة الدياجر ، ولا ينفذ الى اعماق المناير ، فيظلون قابعين في كِسر غُرَف الذهول والخمول ، قانعين برخاء البال وبشاشة الحال . تلك هي كلّ امنيتهم في الحياة لا يرضون عنها بديلًا ولا تغييرًا وتحويلًا .

وفئة تصبو الى النهوض والصعود في المدارج والمراقي العالية بنفس طمّاحة وعزيمة ماضية لا يلامسها ونىً ولا يلابسها ملل ، وتحبّ ان :

« فملأ الدنيا بما تستطيع من عمل يبقى اذا المرء ذهب »
« إنّما الاعمال تاريخ الفتى تقرأ الاجيال فيه ما كتب »

ويأبى أربابها الرضوخ والخنوع للجمود والقعود ، والطرب والتصفيق للنجوم الطوالع ، والمباسم البواسم ، والاستنامة للانشراح والانسراح في فسحات بسطة العيش وخفضه ، لانه ليس من طباعهم الاسفاف والركود وادراك المعالي رخيصة ، ولا الاقتصار على التنعّم بالاطايب والانقياد للذلّ . ويعزّ عليهم ان يمرّوا مرورهم السريع في الدنيا ولا يتركوا لهم في عالم الشمس أثرًا مذكورًا مشكورًا يضمن لهم خلود الذكر على وجه الدهر ، ويخبرنا بأنّ : « لهم علمًا وللجهّال مال » وكأن لسان حالهم يقول :

« وسائل الناس عنّا اننا نُخِب لنا «العلى» وسوانا اللهو واللعب »
« وفي المحامد لا يُلفى لنا بدلٌ وما تعدّى حمانا الظرف والادب » (١

فاننا نراهم راغبين وساعين في التحليق الى مسابح النسور حتى لا يُطوى ذكرهم عند طيّهم في القبور ، وهم أعلق بحبّ الذكر وخلود الاثر منهم بحبّ الحياة وطيبها والرقاد في حضنها الوثير . ذلك من جملة الدلائل على ان النفس نزّاعة بطبيعتها الى الخلود — وهي خالدة .

ان أولي هذه الفئة ينفرون من التشبّه بالمترفين الموسرين الذين يُحجب ذكرهم ملتفًا باكفان النسيان ، حالما يتوارى وجههم عن العيان ، وينشطون الى كدّ

---

١) للشيخ ابي هاشم احمد هاشم

اذهانهم وإسهاد أجفانهم ، معانين تعباً لاهباً ونصباً لاصباً في سبيل تبوّء مقاعد حسن الذكر بين المقالم والمحابر ، معرضين عن توسّد الوسائد الليّنة والتخطّر بالاطالس والحرائر ، والترهّل بالمآكل والمشارب ، غير عابئين بما يصدفهم من المشاده والشواغل ، وقد ألفوا إذلالها وإخضاع رقابها العاتية الجاسية بعزم لا يفلّ غربهُ ، لعلمهم ان أعمال الانسان تموت معه إلا الادبيّة منها والعلميّة فتصد صابرةً صمود ارز لبنان الهازئ بالعواصف والساخر بالزوابع. وهم وحدهم يعيشون ويخلدون، يطويهم الزمن وينشرهم الذكر ، وتتناقل الاجيال آثار اقلامهم وتتحدّث بصفا، أذهانهم وتردّد اسماءهم الى ما شاء الله . وهل من مقارنة أو مشابهة بين كنوز الذهب التي تفنى، وكنوز الأدب التي تبقى؟ فيستمرّ هؤلاء الفوارس مندفعين مطّردين في طريقهم الى الأمام ، مكبّين على دفاترهم وأوراقهم ، لا يلوي حديد شكيمتهم لاوٍ ولا يعترض اندفاع سيرهم معترض . ولا يزالون يجرون ويغذّون حتى يبلغوا أعلى قمّة من نباهة الذكر وجلالة القدر . قال الشاعر :

كم مات قومٌ وما ماتت مآثرهم   وعاش قومٌ وهم في الناس أمواتُ

وقد خلّف لنا اولئك الكتّابُ والشعراء والفلاسفة والمؤرّخون ، تراثاً ثميناً من نتاج أدمغتهم وقرائحهم الخصبة ، يصدعُ بعبقريّتهم ونبوغهم ، ويُنبئ بما عانوا من جهاد ، وحرموا من رقاد ، وأجروا من مداد ، فسوّدوا آلاف الاوراق البيضاء ، فبرزت من تحت وشي اقلامهم تلك النقط السوداء ، عقوداً متماسكة الاجزاء ، باهرة السناء ، تتضاءل عندها عقود الحسناء.

كم من آثار لهم حجبها عنا مرور الزمن ، فأودعها بطون الخبايا ومطاوي الزوايا ، وقد شوّهت الظلمات محاسنها ، ولكنها لم تقوَ على طمس معالمها ، فارتدّت عنها كليلةً وباءت بالفشل . وظلّت تلك الآثار راقدةً رقدتها في ثنايا الظلام ، مستغرقة في المنام ، منتظرة يوم النشور، لتثب وتنبثق من ضجعة القبور، الى عالم الحياة والنور .

ومن جدَّ في التفتيش والاستقراء عن آثار الاسلاف ، لا يصعب عليه الظفر بها في منعطفات الخبايا وانتزاعها من يد الاتلاف ، ذخراً ثميناً للاحفاد . وقد

اتفق لنا ان عثرنا ، بعد جهاد وعناء في الاستقصاء ، على الكثير من هذه الآثار العالية الغالية التي كانت محجوبة بأستار الخفاء ، وهي الآن شريدة طريدة ، مبعثرة بين أوراقنا العديدة . فعقدنا العزم على الجري في إثرها والبحث عنها ، وجمع ما تبدّد منها ، وابرازها الى عالم الضياء ، بنشرها متسلسلة متلاحقة على صفحات مجلّة « المشرق » الغرّاء ، تحت عنوان : « الآثار المطويّة » ، وارسالها الى القراء مجلوّة كالحسناء ، مصقولة كالمرآة ، لم تُخلق الايام جدّتها ، ولم تصرم الليالي لذّتها . وقد علّقنا عليها ما تيسّر لنا تعليقه رغبةً في تقريبها الى الاذهان . وليس لنا من غرض في ذلك سوى مجد الله وخدمة الادب والعلم والتاريخ ، مقدّمين تعبنا له سبحانه وتعالى ، الذي عليه وحده الاتكال ، في كل حال ، واليه المآب والمآل .

الاب انطونيوس شبلي
اللبناني

جبيل — دير سيّدة المعونات
في ١٥ آب ، سنة ١٩٥٣

## بين فرحات وزاخر

ليس من مجال في هذا المقام ، للتبسُّط في الكلام ، عن هذين الرجلين الفاضلَين العالمين : القس جبرائيل فرحات الحلبي الماروني الراهب اللبناني ( المطران جرمانُس ) ، والشمَّاس عبدالله زاخر الحلبي الكاثوليكي ، بل نكتفي بان نقول : ان فرحات كان نابغةً من نوابغ الدهر ، وفلتةً من فلتات الزمان ، ونادرةً من نوادره .

هيهات ان يأتي الزمان بمثلهِ ان الزمان بمثلهِ لبخيلُ

كان شاعرًا موهوبًا فيَّاض القريحة يقول الشعر ارتجالًا . ومن يطالع ديوانه لا يملك نفسه من الاعجاب بما اتاه في غالب شعره من بدائع الاستعارات ، ولطائف التخيّلات . وقد اشار اليها الشيخ سعيد الخوري الشرتوني شارح ديوانه في الحواشي التي علّقها عليه[1] .

وأمّا الشمّاس عبدالله زاخر ، فقد كان رجلًا عالمًا مؤلفًا فذًّا مشهورًا بطول الباع في ضروب الجدَل ، ماهرًا بصناعة الطباعة في عصره ، والطباعة بمسرح تلعب عليه الافكار . انقطع الى عبادة الله في دير القدّيس يوحنا الصابغ بالشوير ، عاكفًا على النسك والزهد ، والتأليف والتصنيف . وقد أتى بمطبعة الى هذا الدير أصدرت كتبًا كثيرة بحرفها العربيّ ، كان الزاخر يديرها بنفسه ويعاونه بعض الرهبان[2] . وما زال مثابرًا على خطّة النسك ، غارقًا بين المحابر والدفاتر والاقلام ، حتى ذهب في سبيل كل حي[3] .

---

١) ديوان المطران فرحات . المطبعة الكاثوليكية في بيروت ١٨٩٦ ، في ٥١٧ صفحة . عليك بترجمته المطوّلة « المستطرفات في حياة السيّد جرمانس فرحات» للعلّامة الطيّب الاثر الخوراسقف جرجس مَنَش الحلبي الماروني . المطبعة الكاثوليكية ، بيروت سنة ١٩٠٢ ، في ٣٦ صفحة كبيرة ، ففيها حدُّ الكفاية .

٢) راجع تاريخ مطبعة الشوير (المشرق ٣ [١٩٠٠] : ٢٦٠-٢٦٣ )

٣) قد افردت ادارة مجلة « المسرّة » الغرّاء ، عددًا ممتازًا بمناسبة الذكرى المئوية الثانية لوفاة الشماس عبدالله زاخر ، كان مسرحًا لاقلام بعض الادباء في هذا الرجل ( المسرّة ، السنة الرابعة والثلاثون ، الجزء السابع ، عدد تموز ١٩٤٢ ) . واصدرت ايضًا الرهبانية الحلبية الباسيلية الكريمة ، عددًا خاصًا بزاخر من نشرتها : « حياة وعمل » (العدد ٩-١٠ ، ايلول ١٩٤٨ ) في ١١٢ صفحة ، بقطع كبير وورق نظيف ، وطبع جلي بمطابع حريصا الزاهرة .

ولا يخفى ان ارض حلب الشهباء ، قد أنبتت عصبةً كريمةً من ذوي الفضل والادب والدين والعلم ، غذّتها بمائها الرائق وهوائها الطيّب وأظلّتها بسمائها الصافية، أخصّهم أولو الشهرة البعيدة، القس جبرائيل فرحات، والشماس عبدالله زاخر، والخوري نيقولاوس الصائغ ، ومكرديج الكسيح الارمني . كان هؤلاء الاربعة الاقطاب ، أو عصبة الادب ، منارةً مترامية الضياء ، في خلال القرن الثامن عشر ، شديدة السطوع واللألاء ، تُرسل انوار معارفهم وعوارفهم الى جميع الناطقين بلغة الضاد في أنحاء الشرق العربيّ ، فأصبحت الشهباء تيّاهة بهم مُدلّة بأديبهم الرفيع ونتاج قلمهم البليغ . وكانوا من خيرة الاصدقاء الصلحاء الاوفياء الامناء ، «والصديق الامين معقل حصين . . .لا يعادله شيء ، وصلاحه لا موازن له» ( سيراخ ٦ : ١٤ و ١٥ ) ، تربطهم رابطة الوطن والاخاء والوفاء ، وتشدّهم أواصر الدين والعلم والفضل في الاخلاق والاذواق، فكانوا يتراسلون ويتهادون تصانيفهم ويتبادلون الآراء والافكار متمسكين بحبل الصدق والوداد .

وها اننا نرى القس جبرائيل فرحات ، يجاوب صديقه مكرديج الكسيح سنة ١٧٢٠ ، على اهدائه اياه نسخة من تأليف له في حلّ مشكلات الانجيل[1] ، بابيات رقيقة دعاء في مستهلّها : الخلّ الوفي[2] ويمدحه بقصيدة اخرى مطلعها :

أمكرديجُ زدْ فضلاً فأنت الفضلُ في الناس[3]

ويجيب ايضاً تلميذه وصديقه الخوري نيقولاوس الصائغ الذي وصلته رسالة فرحات بعد وفاته ، فبكاه ورثاه متفجّعاً عليه ، بقصيدة من عيون الشعر ، براعة استهلالها :

| | |
|---|---|
| ألا إنّ مغنى المجد ثُلّت دعائمُهْ | وربع سناء الفضل أعفت معالمُهْ |
| وقُوّض ركنُ الدين واغتال أسّهُ | وأقوت مبانيه وصُدّت عزائمُهْ |
| وعُطّل جيدُ الخير واثال عقدُهُ | ووُشّحن اثواب الحداد كرائمُهْ |
| هوى علَمُ العلم الوطيد من الورى | غداة قضى من عالَم الكون عالِمُهْ[4] |

١) في خزانة كتبنا بدير سيّدة المعونات — جبيل — نسخةٌ خطية من هذا الكتاب .

٢) الديوان ص ٤٦٦

٣) فيه ص ٣٤٩

٤) ديوان الخوري ص ٣٤٩ ، الطبعة السادسة ، في المطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة ١٨٩٠ ، في ٣٣٠ صفحة .

ونقرأ لفرحات قصيدة مندمجة المعنى والمبنى ، مدح بهـا صديقه الشماس عبدالله زاخر ، أرسلها اليه سنة ١٧٢٠ ، ونرى زاخرًا يجاوبه عليها بقصيدة من نفس البحر والقافية ، رنانة الابيات ، مشرقة المعاني ، صادقة الشعور ، تدخل الآذان بلا استئذان ، وتحرك سواكن الاذهان ، يترقرق شعرها جاريًا : جريَ المياه على بساط اخضر . ليس فيها أدنى تكلُّف او تعسُّف ، مما يدلّ على اضطراد قريحة « الزاخر » الزاخرة بكل علم وفنّ . وقد خلع بهذه القصيدة على صديقه فرحات ، بُرْدًا منمنمًا مطرَّز الحواشي ومخطَّط البطائن والمغابن ، بخيوط البلاغة والسهولة ورقَّة العاطفة التي اجادت حبكها أسلة يراعه المراع . لقد أثنى زاخر على فرحات ومدحه بما هو اهلٌ له وجديرٌ به ، ولم ينفحه بغير ما يصدق فيه وينطبق عليه لئلا يقال له : « إن اصدق الشعر اكذبه » .

ولم يجلْ في خاطرنا او يطرق مسامعنا ، ان الشمّاس عبدالله زاخر، المنكبّ على دراسة التاريخ والجَدَل ، الغارق في تفاسير الالهيات ، كان شاعرًا مطبوعًا تنقاد له رقاب القوافي انقياد الإماء والجواري ، حتى رأينا له هذه القصيدة السحاء التي يجاوب بها فرحات على قصيدته ، منسوخة على ورقات بيضاء في آخر ديوان ابي العلاء المعرّي المخطوط بخط عربي جميل شبيه بالخطّ الكنديّ المسمّى « لزوم ما لا يلزم » ، الموجود في خزانة كتب دير الشير — بكفيا — سوق الغرب ، العامرة ، تحت رقم ج ٣—٨ . ان هذا الكتاب مكتوب بحبر اسود ، وعناوينه بحبر احمر ، على ورق عادي صقيل ، ومجلد بجلد احمر قديم مرصّع بالنقوش ، يقع في ٧٢١ صفحة ، طوله ٢١ سنتمترًا ، وعرضه ١٧ سنتمترًا ، والصفحة منه تحتوي ١٧ سطرًا ، وهو بقلم ناسخ واحد من اوَّله الى آخره ، ومقدمته هي لابي العلاء المعرّي نفسه ، تقع في ٣٥ صفحة . جاء في صفحة ٧٢١ الاخيرة منه ما يأتي :

« تمَّ لزوم ما لا يلزم من نظم ابي العلاء احمد بن عبدالله بن سليمن التنوخي المعرّي في الزهد والفطنة وذمّ الدنيا . والحمد لله ربّ العالمين » .

وعلى ظهر هذه الصفحة الاخيرة ، بيتان من الشعر لمصطفى برّي بخطّ مختلف ، هما :

يا مدّعي فنّ القريض فضيلةً ما الشعرُ إلّا ذِلّةٌ وخبالُ
فالمدحُ كذبٌ والرثاءُ مناحةٌ والهجوُ اثمٌ والمديحُ سؤالُ

وورد في صفحة ٧٢٣ هذه العبارة، بخط مختلف ايضاً وهي :

« استكتبهُ بمالهِ لنفسهِ العبد الحقير المقدسي نقولا ابن المقدسي نسه ابن الخوري حنا الحموي من الروم ملَّةً سنة ١٧٨٥ ».

ثم ترد بعض قصائد لفرحات مطبوعة في ديوانه، منها قصيدته في زاخر، وقصيدتان لزاخر جوابيّتان لمكرديج وفرحات وهما غير معروفتين ولا منشورتين، وكلّها مرقومة بخط عربي كنديّ دقيق من صفحة ٧٢٤ الى آخر صفحة ٧٢٧.

والظاهر ان « الزاخر » لم ينصرف الى الشعر إلا « اذا اقتضته مع الاسباب اوقاتُ » فلا يقف عندئذٍ مكتوف اليدين امام من يراسلونه شعراً، فكان يبادلهم بمثله مجاراةً ومباراةً لهم لئلا يظنّوا به العجز عن النظم مع قدرته عليه واجادته. وبما بان لنا من مطالعة حياة زاخر ومجادلاته، ان طباعه كانت نزّاعة الى القسوة والحدّة اللائحة آثارها في كتاباته — وكتابة المرء منبئة عن اخلاقه — الدالّة على الإباء والانفة من المدح والاستجداء، شأن البعض ممن ألفوا به الاستجداء او التزلّف الى الكبراء والعظماء لمجرّد انهم اغنياء او وجهاء، ليستأهلوا الثناء والاطراء. لذلك كان وصف زاخر لفرحات بانه رجل دين وعلم معاً، شهادةً صادعةً بالحق صادرةً عن اختبار واقتناع، لا عن مجاملة او انتفاع، فلها اذن قيمتها ووزنها. اما قصيدة فرحات في زاخر، فمصدَّرة هكذا : « قال القس جبريل اللبناني ممتدحاً الشمّاس عبدالله زاخر » وقصيدة زاخر الجوابية له معنونة كذا : « قال الشمّاس عبدالله زاخر يُجيبه » وقصيدته لمكرديج : « وقال الشماس عبدالله زاخر، وقد ارسلها للشماس مكرديج جواب ابيات ».

ويحسن بنا ان ننشر اولاً قصيدة فرحات لزاخر، وان تكن مطبوعة في ديوانه[1]، ثم قصيدة زاخر الجوابية لفرحات، ليدرك القارئ بداهةً معنى ومرمى القصيدتين في وقت واحد، اللتين هما خطاب وجواب. وسننشر ايضاً جواب زاخر الشعريّ لمكرديج.

١) ديوان المطران، صفحة ١٥٨.

## قصيدة فرحات لزاخر

كُفَّ العتاب وكن عليَّ شهيدا … إذ بتُّ فيك الهائم المعمودا
سفيًا لقلبٍ بات فيك مُقلَّبًا … شوقًا وبات فؤادهُ مفؤودا
ظبيٌ غرامي فيهِ غيرُ مُذمَّمٍ … مُذْ باتَ فيهِ مُمدَّحًا محمودا
أضحى بموقف فضلهِ وكمالهِ … ما بين أرباب الكمال عميدا
تمت محاسنُ خَلقهِ في خُلقهِ … يتباريان سعادةً وسعُودا
بالله عبدالله كُنْ متأبدًا … فالله يُؤتي عبدَهُ التأييدا
اذ كنتَ يا دُرًّا بأصداف المُنى … تُلقي الينا اللؤلؤ المنضُودا
من بحر علمٍ زاخرٍ بفضائلٍ … كُنْ يا ابنَ زاخرَ في الأنام فريدا
جاءتك من إنعامِ ربِّكَ نعمةٌ … عقدَت عليكَ كتائبًا وبنُودا
صاغت لكُم آلاؤُها من رَيّها … دون الأنامِ قلائدًا وعقُودا
طبعًا كماء المُزنِ يصفو رقَّةً … وحجىً بآراء العلوم سديدا
سامَ السُّمُوَّ بجدِّهِ وجدُودِهِ … أكرِمْ بهِ جدًّا سما وجدُودا
وأتى ببرهان النظام مُقلِّدًا … فيهِ نرى البرهان والتقليدا
وأمانةٍ بيعيةٍ روميَّةٍ … تَذر القريبَ من الضلالِ بعيدا
يا ابن الأكارم كابرًا عن كابرٍ … انت المُقَدَّى طارفًا وتليدا
خذها اليكَ، فدتكَ، لبنانيَّةً … جاءَت وكان مديحُكَ المقصودا

## قصيدة زاخر الجوابية لفرحات

قال الشماس عبدالله زاخر يجيبه » :

جاءَت وقد نثرَت عليَّ عقُودا … بكرٌ فكانت لؤلؤًا منضودا
دُررًا سمَتْ حسنًا ولذَّت مسمعًا … واستُعذبت نظمًا سما ونشيدا
رقَّت فأرقت المشوقَ الى الذي … لا زال فيهِ هائمًا مجهودا
السيِّدُ الندبُ الذي شدَهَ الورى … فضلًا فأضحى في الأنام وحيدا
كنزُ المحاسنِ والمكارمِ والتقى … بحرُ العلومِ المتزيدُ ورودا
مولًى حباهُ اللهُ فضلًا ساميًا … فأتى فكان زمانهُ المسعودا
يبني ليتَ الفضل فخرًا قوِّضت … منهُ الجهالةُ، فازدهى تشييدا

١) اشارة الى تأليف زاخر يسمَّى : البرهان الصريح .

ويُبيدُ آثار العلومِ حقائقًا    أضحت بها الأيّامُ تحسُنُ جيدا
فتامَ يا مولايَ فضلًا جئتَهُ    بين الأنام موصّدًا وصليدا (١
أكسوتني ثوبَ الثناء(٢ مدبّجًا    من وصف فضل بُثَّ فيهِ فريدا
أنشأتَ ذكرًا في الورى متقدّمًا    وسموتَ شأوًا لاحقًا وطريدا
بصناعةٍ عربيَّةٍ ادبيَّةٍ    بَعُدَتْ مُنىً وأرت لبيدَ بليدا
وبراعةٍ حكميَّةٍ طبيَّةٍ    ضاءَت منىً وسمَتْ هدًى مقصودا
وفصاحةٍ ذهبيَّةٍ عليَّةٍ    يبديعٍ وعظٍ يفلقُ الجلمودا
ورياضةٍ نسكيَّةٍ(٣ عمليَّةٍ    وبحجةٍ عنها نرى التقليدا
لو رامت المدّاحُ حصر صفاتهِ    أعياهمُ من كثرةٍ تعديدا
قد ضمَّ اضدادَ القلوبِ تألُّفًا    بمحبَّةٍ أبدى بها التوحيدا
اذ كان فيهِ فعلُ روح سميّهِ    جبريل اذ هو عنهُ ليس بعيدا
بطهارةٍ وقدامةٍ ورئاسةٍ    ورسالةٍ تلنا بها التأييدا

٥

يا سيّدًا وأبًا تملّك حبّهُ    قلبي فأقسم لا يكونُ لدودا
اعذرْ تجاسرَ جاهلٍ متطاولٍ    لسوَ مدحك واترك التقييدا
واسلمْ ودُمْ وأرقَ الكمالَ تباهيًا    وأعطفْ وكُنْ بين الأنامِ حميدا

## قصيدة عبدالله زاخر الجوابية لمكرديج الكسيح الارمني

«وقال الشمّاس عبدالله زاخر وقد أرسلها للشمّاس مكرديج جواب ابيات»[٤]:

أنثارُ دُرٍّ أم حَبابُ مدامٍ    وحلالُ سحرٍ أم بديعُ نظامِ
أم روضةٌ فيحاءُ جاد ربيعُها    فبدت أزاهرها عن الأكمامِ
أم نفحةُ الحبِّ التي فعلَتْ بنا    ما تفعلُ الارواحُ بالأجسامِ

---

١) الموصَّد : المُجدر. والصليد : المنفرد ، اي ان الممدوح هو خدرُ الفضل المنفرد.

٢) اكسى الثوبَ فلانًا ألبسهُ اياهُ.

٣) اشارة الى مؤلَّفٍ لفرحات ، يُسمَّى : « الرياضة الروحية » في مكتبتنا نسخة منهُ خطيَّة. ومن عداد مؤلفاته رسالة في ايضاح رسوم الكمال ، في مكتبتنا ثلاث نسخ منها خطيَّة ، نشرها في هذه السنة ، ١٩٥٣ ، الخوري ميشال بريدي. سنُفرد لهذا الكتاب مقالًا خاصًّا.

٤) اننا لم نرَ قصيدة مكرديج لزاخر ، ويظهر ان الناسخ لم يظفر بها ليثبتها كما اثبت قصيدة زاخر الجوابية عليها ، ولا شكَّ ان قصيدة مكرديج ميميّة القافية.

رقّت هوًى فسرت برقّته لطائفها ضمن الحشا وتمكّنت بعظامي
حيّت فأحيت همّة لي عنفها وطرحتها عني الى الإعدام
وبدت لنا تُنمى لأنفاس الذي لذّت لديَّ به شجونُ غرامي
الألمعيُّ الندبُ ذو الحلم الذي رقّت ودقّت عن ذكا الأفهام
اعجوبةُ الزمن الذي سعدت به أيامُهُ فزها على الأعوام
حاز النباهةَ والحصافةَ والتقى حتى غدا عَلَمًا من الأعلام
لا تنظرنَّ لضعفه في خَلقه بل فانظرنَّ الى علاهُ السامي
همٌّ الى طلب المعالي قصّرت عن شأوها السامي خُطى الأقدام
وذكا بادراك الحقائق أسفرت أنوارهُ رشدًا بكلّ مقام

٥

فتسامَ يا صنو التقى وأخا الحجى وبدَ الهدى ونتيجةَ الأيّام
فلقد أتيتَ منابرَ الأفضال قا م رغةً فكنتَ لمنَّ خيرَ إمام
لاعيبَ فيك سوى السخاء فلم تزل تُعزي الينا فضلكَ المتسامي
بديعِ مدحٍ أنت حقًّا أهلُهُ في شرعِ أهلِ النقضِ والإبرام
فأسلم ودُمْ مترقيًا أوج العلى وأسبق وسُدْ بالفضلِ بين كرام
متسربلًا ثوبَ الكمال موشّحًا نِعمًا حظيتَ بها بحسنِ ختام

[ للمقال صلة ]

# المدرسة

## خطاب لحضرة الاب مبارك ثابت اللبناني

رئيس دير المخلّص في ابرامية

القاهُ في مدرسة الاخوة المريميين بجونية في ٢٥ اذار سنة ١٩٢٩

بدعوة من الاخوة لامتحان التلامذة[١]

المدرسة ثلاثة أركان : الإدارة ، والمعلّم ، والتلميذ . ومن احتكاك هذه العناصر الثلاثة تخرج نارُ النجاح . كان أهلُ بلادنا قبل استعمال عيدان الكبريت يستخرجون النار من الحجارة الصلبة بطريقة الإقتداح. يأخذون قدّاحةً قطعةً من الفولاذ وصوّانةً وصوفانةً فيضمون الصوفانة على حجر الصوّان ويضربون عليهِ بالقدّاحة فيتطاير من الحجر شررٌ يقعُ على الصوفانة فتشتعل . والصوفانة يجوز أن تكون شيئاً من الفطر يُؤخذُ عن جذوع بعض الشجر أو قطناً ناعماً أو خرقةً من نسيج القطن أو غير ذلك من الأشيا. القابلة الاحتراق من مَسّ شرارة . فالقدّاحةُ مثالُ الادارة في المدرسة . والصوّانةُ مثالُ المعلّم . والصوفانة ، أي المادّةُ المحترقة ، مثالُ التلميذ . فكما أنَّ النار تُستخرجُ من الثلاثة معاً ، كذلك النجاح يُستخرجُ من أركان المدرسة الثلاثة : المدير والمعلّم والتلميذ . اذا خلا أحدُ العناصر الثلاثة أو نُقضت عندهُ شروطُ الإقتداح لم تحصل النار المنشودة.

أخصُّ ما تتناولهُ مهمّة الادارة وضعُ نظامٍ ملائمٍ ومضبوطٍ بالوقت ، بالساعة والدقيقة والثانية تُراعى فيهِ أحوالُ المعلّم والمتعلّم من صحيّةٍ وروحيّةٍ وعقليّة . ثمَّ إجراء ذلك النظام على الموضوع لهم وتقييدهم بهِ مع فتح عين اليقظة والمراقبة حتى لا تمتدَّ اليهِ أيدي العَبَث ولا يُنظر اليهِ بعين الازدراء.

ومن حيث انها سلطةٌ مشترعةٌ وحاكمةٌ معاً فلا بُدَّ لها من خُلّتين : العلمُ لإجادة التشريع ، والعدلُ لصون المهابة وتزكية الأحكام . ومن مقتضياته

١) ظفر بهذا الخطاب النفيس حضرة صديقنا الاب انطونيوس شبلي اللبناني واراد ان يخصَّ بهِ مجلّتنا « المشرق » فلهُ خالص شكرنا وتقديرنا.

إثابةُ التجويد ومعاقبة الإخلال . والفطنةُ خُلَّةٌ ثالثة تحرسُ الخُلَّتين وتسيّرهما في سبيل الرشاد . وعليها في الأخصّ يترتَّب إقرارُ السلام.

ه

ومهمَّةُ المعلّم سامية ودقيقةٌ جدًّا وذاتُ مشقَّةٍ وضمانات كثيرة . لذلك لا أراني مخطئًا اذا شبَّهتُهُ بالصوَّانة لما يلزمهُ من التصلُّب والتجلُّد حيال حياة التعليم المملَّة وما يلازمها من تعب الدرس والمطالعة والتصحيح والإلقاء والتفهيم والتحضيض والردع والتشويق مع المراعاة لطبائع الحداثة ومنازعها ، الى سائر أطوارها الصبيانيَّة.

وكما تبرى الصوَّانةُ بتكرير ضرب القدَّاحة ، كذلك تبرى حياةُ المعلّم بتأثيرات التعليم المتواصلة . واذا لم تكن لهُ غزارةُ العلم وغيرةُ القلب فلا يزيد تعليمهُ على ان يكون شرارةً هامدةً ضئيلة النور تنطفئ أوَّل ظهورها ، أو تقع على ذهن الطالب فلا تُحدث فيهِ اشتعالًا ولا إشراقًا.

وليست مهمَّةُ المعلّم بمقصورةٍ على تثقيف عقل التلميذ بالعلم ، بل تتناول ومن باب الوجوب ، تهذيبَ قلبهِ وتوجيهَ رغائبهِ الى الخير ، لأنَّ العلم لا يُعلي قدرَ الانسان ولا يعود عليهِ بالسعادة والمجد ما لم يكن مقرونًا بالأخلاق الحميدة . والأخلاقُ بَنَاتُ التأديب . فالمعلّمُ معلّمٌ ومؤدّبٌ ، فينبغي أن يكون أخا فراسةٍ وفطنةٍ وذكاء ، وذا نظرٍ مصيب في الغرائز والميول والأمزجة وما يطرأ عليها من تطوُّرٍ وتحوُّلٍ بقوَّة العوامل التي تنتابها من الخارج والداخل ، فيعدّل شهوات تلميذهِ ويُبصرها في مقاصد الصلاح ، ويُرقّي أخلاقهُ ويُبعدها عن الفساد ، ويردّ قلبهُ عن الزيغ ويثبّتهُ في الاستقامة والحق ، ويغرس فيهِ الفضائل ويتعهَّدها بما يُمكّن أُصولها ويُوليها غزارةَ المائيَّة وسرعةَ النماء وجودةَ الاثمار ، ويهذّب ارادتهُ بتعويدهِ الصبر على مشقَّة الدرس والجرأة على العُقدِ والمشكلات ، وبتشويقهِ الى الجهد وتعظيمهِ في عينيهِ حتى اذا عرضتهُ صعوبة لا ينكص عنها منحلَّ العزمة منخلع القلب ، فينشأ ضعيف الارادة واهن العزم قليل الثبات والجَلَد وَكِلًا يقتنع بالهيّن الميسور ويقول : هو الحظُّ لا يُغنيهِ الجهدُ ولا يُجتنبهُ الكدُّ . والحقيقة ان الحظَّ في الشؤون الانسانيَّة لا سلطان لهُ ولا هو موجود.

فالمعلّمُ الصالحُ هو الذي يعرفُ من تلاميذهِ مداخل الذهن والقلب فيوصل اليهم العلمَ والفضيلةَ والحقَّ والعدلَ وتقوى الله من أقرب الطُرق ، وينصبُ لهم نفسهُ مثالاً في ذلك ويستميلهم بالحيلة البارعة الى فرضةِ الطاعة والركون والإصغاء .

٥

ومهمّةُ التلميذ تحصيل المعارف على قدر الطاقة وقياس ما أُوتيه من التأهب الطبيعي للحفظ والفهم والحذق . ولا بُدَّ لهُ من الارادة الحازمة والرغبة الصادقة ليتخطَّى العقابَ الصِعابَ ويُصادف لذَّةً في الدرس تجتذبهُ اليهِ وتُنقص شعورهُ بالتعب ، وتهوّن عليهِ ما قد يستصعبهُ من ضبطِ الافكار وحبس الحواس ، على ما بذلك من قلّة الملاءمة لطبيعة سنّهِ النازعة الى التشتُّت والتلهّي واللعب . وليس عليهِ ان يجاوز في الجهد حدَّ الاعتدال رغبةً في السبقِ والتفوّق ، فذلك إسرافٌ يغلبُ ان يكون وخيم العاقبة .

واذا عارضتهُ بالتقصير لم يكن الإسرافُ أفضل منهُ ، وأكثرُ الاحيان ينتهي الإسرافُ الى التقصير . مَن بالغ في إيساع خطوهِ في طريقٍ طويلٍ فلا يبطؤ ان يُقعده الكَلَلُ عن الانتهاء الى آخرهِ . وخيرُ الامور الوَسَطُ . والوَسَطُ في المدرسة النظامُ ، فمَن يتقيّد بهِ يسلم من الآفتين : التفريط والإفراط . ومَن يحدْ عنهُ يقع في إحداهما لا محالة . وقد وزَّع النظامُ ساعات اليوم بين أعمال التلميذ على حسبِ طاقتهِ وحاجاتهِ مراعياً صحّةَ العقلِ والبَدنِ وطبائعَ الدارس ونزعاتهِ . فما عليهِ إلّا ان يسلك طريقهُ آمناً مطمئناً فينتهي الغرضُ ظافراً دون عثرةٍ ولا ضلال .

وليعلم التلميذ أنَّ الأخلاق الكريمة أجدى عليهِ من العلم الكثير ، وانَّ بها راحتهُ وسعادتهُ ونجاحهُ ومجدهُ . واذا عرف ان يجمع بينها وبين العلم استكمل الزينة الادبيَّة التي تُلفتُ اليهِ الأنظار وتملّكهُ مقاليد القلوب وتمكّنهُ من كلّ مطلبٍ نافعٍ وشريف ، فلا يألُ جهدًا في إقتباسها ما دام في المدرسة فذلك ميسورٌ لهُ لِما يرى من رسومها في الكتب التي بين يديهِ وفي القدوات الجميلة التي يشاهدها عند أهل الصلاح من معلّميهِ ورفقائهِ ومرشديهِ . وسبيلهُ التشبُّهُ بالنحلة التي تقعُ على الأزهار فتأخذ حلوها وطيّبها فتعمل منهُ الشمع والعسل الجيّدين ، وقد تركت ما في الأزهار من مُرٍّ وخبيث .

حسنُ الطاعة ، ورعايةُ النظام ، وإكرامُ السلطة ومحبّتها في الغيب والشهادة ، والرسوخُ في الايمان ، والاعتصامُ بتقوى الله والاخلاص في محبّتهِ بحفظ وصاياه ، وإقامة فروض عبادتهِ ، والولوعُ بإجمال الصنع الى جميع الناس ولا سيما الخلطاء. وأهل العشرة ، والتجافي عن البغضة والحقد والحسد ، وحبسُ اللسان عن النميمة والكذب والشتم واللعن والمزاح القارص والثرثرة المعيبة وفحش الكلام ، والتجمّل بالفضائل الالهيّة والأدبيّة ، والتردّي بالكياسة والادب ، وتجنُّبُ عشراء السوء ، والالتصاق بأهل الخير ، والتنزُّهُ عن الخبث والرياء والتصلّف والخُيلاء والإعجاب بالمواهب الطبيعيّة أو بالمحاسن المكتسبة ، والاستمرار على حال الوداعة والبشاشة والصراحة فكرًا ونطقًا ، والمحافظةُ على الزمان ألّا يضيع منهُ ولو ساعة بلا عمل نافع لنفسك او لغيرك من الناس ، مع الجدّ في تحصيل المعارف. تلك علاماتُ النجاح الحقيقي والمستقبل اللامع لولدٍ أو شابّ يسأل عن مستقبله كيف يكون.

النجاحُ في الاعمال والحالات المختلفة ليس مختصًا بالعقول الكبيرة بل بالارادات القويّة. وجائزةُ النجاح ينبغي ان يُكافأ بها أجملُ التلامذة أخلاقًا لا أجودهم عقلًا ، لأنّ جودة العقل موهبةٌ وجودة الاخلاق فضيلة. ومأخذ الموهبة بلا تعبٍ ، ومأخذ الفضيلة بالتعب وشقّ النفس.

ومن التلامذة مَن لهُ حظٌّ وافرٌ من العقل فإمّا ان يُعوّل عليه وحدهُ دون الجهد ، وإمّا ان يقرنهُ بيسيرٍ من الجهد لاستيلاء الكسل عليهِ فيقصر عن شأوِ أقرانهِ في المطالب ويسبقهُ مَن دونهُ فهمًا وتوقّد ذهن ، فلا يلمع في سباقٍ ولا في امتحانٍ ، فيتمحّل لنفسهِ عذرًا بسوء الحظّ كأنّ للحظّ يدًا في النجاح. ولو تدبّر الأمورَ لعرف انّ الحظّ لا يفوت ان يكون كلمة أهل الجبن والكسل ، وانّ النجاح انما هو بإحكام عَقدِ القلب على المقاصد. فمن عرف ان يُريد أدرك الوطر لا محالة ، لأنّ الارادة الثابتة لا يملكُ صدّها عن أغراضها الناسُ ولا الطبيعةُ ولا العناصر. قال ديكارتُ : الارادة هي أشدُّ ما فينا التصاقًا بنا ، فعقلُنا وحسُّنا لا يفوتان ان يكونا شيئين لنا ، أمّا ارادتُنا فهي أنفُسنا.

إنَّ النجاح الذي تجلّى لي في امتحان الطَّلَبَة المحبوبين في الدروس العربيّة ، قد جاء معززًا لِما عرفتُهُ بالاختبار الطويل من عناية الاخوة المريميّين المحترمين باللغة العربيّة. قلتُ بالاختبار الطويل ، لأَني قمتُ بتدريس هذه اللغة مدَّة ست سنوات متتالية في المدرسة التي كانت لهم في مسقط رأسي دير القمر ، فكانوا يوفّرون للتلامذة كلَّ ذرائع النجاح في لغتهم الوطنيّة ، ويبالغون فيهم تشويقًا وترغيبًا بالمكافآت الحسنة ، وباقبال بعضهم ممَّن ينفسح لهُ الوقتُ على تعلّمها اسوةً بتلاميذهم ، فأنجبت تلك المدرسةُ الساهرةُ عددًا من الادباء كتّابًا وشعراء يؤدون اليوم وطنهم جليل الخدمات في مناصب ومهامّ مختلفة.

وما كانت مدرسة دير القمر إلّا أصغر مدارسهم في البلاد . فماذا نقول في مدارسهم الكبيرة كمدرسة جونية التي ما مضى على نشأتها بضع سنوات حتى صارت الى مستوى المدارس الجامعات في المدُن.

لا أنكرُ ان نجاح التلميذ مترتّبٌ على ذكائهِ واجتهادهِ ، لكنْ من اسبابهِ ايضًا حسن الادارة وبراعة التعليم ، وهذان الشرطان اعتقد حصولهما في هذه المدرسة في مرتبة الكمال . فإنَّ لحضرة الاخ رئيسها الفاضل شهرةً بعيدةً في صلاح التدبير والحنكة الاداريّة والسهر الدائم على سير الامور مع المحافظة على القوانين وضبط النظام. وانتم راؤون ما يقارن تصرّفهُ من الحكمة والفطنة وسداد الرأي والتهالك على ما يرقّي المدرسة ويقرّبُ فيها موارد المنافع للدارسين ويسهّلُ للاساتذة سُبُلَ التدريس ويضمنُ الراحةَ والسلامَ والمصلحةَ للجميع .

ولمّا كانت الرعيّة براعيها وأهل المدينة كواليها ، صحَّ لنا القطعُ بأنَّ في هذا المعهد المبارك ، اساتذة بارعين ناهضين أكمل نهضةٍ بواجب التعليم والتهذيب ، وتلاميذ نُبهاء عُقلاء ظُرفاء الاخلاق قائمين بما عليهم من واجب الإصغاء والتحصيل أحسنَ قيام. فلا غروَ ان نرى اليوم ما رأيناهُ من نجاح الاكثرين نجاحًا تطيب بهِ النفس وتقرُّ بهِ العين.

فحقٌ عليَّ وعلى كلِّ لبنانيّ أن نشيد بفضل الاخوة المريميّين الذين هجروا أوطانهم وتخلّوا عن أعزّ ما لديهم وجاؤوا بلادنا بعقولهم الذكيّة وأبدانهم القويّة ومعارفهم الواسعة وأخلاقهم الكريمة وأنفسهم الكبيرة ، ليبذلوا منها لشبابنا الوطنيّ عن نفسٍ سخيّة . لا يبغون ثوابًا سوى رضا الله ونشر الثقافة

والفضيلة ، وتربية النشء على مخافة الربّ ، وتسديد خطاه في سبيل البرّ والاستقامة ، وتجميله بالمعارف المعاونة على تحصيل المنافع وتوثيق عرى الاتحاد بين أعضاء المجتمع لادراك السعادة المستطاعة في الدنيا والمشتهاة في الآخرة .

أجل ! إنّ الاخوة المريميّين يتقاضون إجرة التعليم من بعض طبقات التلاميذ غير أنّهم لا يتقاضون إلّا ما يحقّ لهم من معاش، لأنّهم عَمَلَة . وأيّ عامل لا يستحق إجرتَهُ،أم أيّ خادم لا يستأهل قُوتَهُ وكسوتَهُ . فهؤلاء الشبّان الذين تخلّوا عن جميع ملاذ الدنيا والجسد وقيّدوا أنفسهم بتثقيف الشبيبة بنذر لله الى منتهى العمر ، لا تجدون عند الواحد منهم خزانةً ولا كيساً ولا مجموعةَ ألبسةٍ ولا شيئاً ممّا يزيد عن الضروري . وانّما يأكل خبزَهُ بعرق وجهه وكدّ عقله وقلبه ، فان فضل عنهُ شيء فليس لهُ ولا يبقى دقيقةً في حوزته ، بل يصير اسماً الى الجمعيّة وفعلًا الى الخير العام . يُصرفُ بعضهُ الى عجائزها والبعض الى الفقراء ، وفي انشاء المدارس وترميها . على أنّ المدارس المُنشأة في البلاد انّما هي لأهل البلاد . أمّا الاخوةُ المريميّون فمعوّلهم في الحياة على مبدإ القدّيس بولس الرسول : حَسْبُنا القوت والكسوة.

فعلينا ان نوفيهم حقّهم من المحبّة والاكرام ، ونبذل لهم المعاونة والتعضيد ليتمكّنوا من القيام برسالتهم الشريفة ، بخدمتنا الأدبيّة . فأنا أحيّي فيهم العلم والغيرة والفضيلة المسيحيّة ، وأثني أطيبَ ثناء على السادة الاساتذة الوطنيّين القائمين معهم بمهنة التعليم الشاقّة ، بهمّة لا تقعدُ ولا تعرفُ المَلَل .

# شهادات الكنيسة السريانية المارونية القديمة

## بحقيقة وجود المطهر

شرحها الاب بطرس ساره اللبناني

مقدمة – بمناسبة شهر تشرين الثاني المخصص للانفس المطهرية ننشر شهادات الكنيسة السريانية المارونية الصادعة باعتقاد الموارنة العريق في القدم بحقيقة وجود المطهر، قد جمع تلك الشهادات من صلوات الفرض كالشحيم والنسشت(١ والجنازات وعربها عن السريانية المرحوم الاب يوسف حبيقه الراهب اللبناني وعني بتنسيقها ونشرها أحد اخوته في الرهبانية اللبنانية .

اولاً : شهادات الشحيم(٢

أ : شهادات مساء الاحد . ١ : «لا تنسَ اللهمَّ الموتى الراقدين في الجحيم (المطهر) على رجائك . ولا يكونوا مأكلاً للنار» . ٢ : اللهمَّ لا تترك في الفناء الانام الذين لبنوك بالعماد ولا تأكلهم النار لأنهم اكلوا جسدك فارحمهم، ولا تجعل الافواه التي رتلت لك المجد، تصرخ مولولةً في داخل العذاب.

ب : شهادات صلاة الستار . ٣ : فلينضح الموتى في دركات الجحيم ذلك الندى ندى المراحم الذي أُرسل من الآب ونضح الفتيان في اتون بابل.

ج : من صلاة الليل . ٤ : فليكن دمك الذي استحق عبيدك ان يحتسوه هنا، ينبوعاً ينفجر لهم مياهاً حية . ٥ : كن اللهمَّ لعبيدك الذين رقدوا، رفيقاً في المحلّ المخيف وأجزهم المجاز المملوء رعبةً . ٦ : فلتمطر عبيدك ديمة المراحم فيحيوا بك من احتراق جهنم . (يريد ولا شك المطهر كما تصرح القرينة) . طرِّ اللهم ورطب السنابل التي اذبلها حرُّ الموت . ٧ : ليس جميع الموتى ينتفعون من القرابين، اذ يوجد موتى بعيدين عن ابن الله . ٨ : لتخمد النار عن عبيدك حينما يعبق بها ريح جسدك ودمك . ٩ : امحُ اللهمَّ خطاياهم من سفر مخافتك وبلغهم فردوسك المملوء خيرات

١) وله درس تاريخي فيه سننشره بجزء آخر ان وفق الله .

٢) معناه البسيط دعي بذلك لخلوه من التراكيب المعقدة او تمييزاً له عن صلوات الاعياد

١٠ : اغفر اللهم لكل من سألنا الدعا الهفوات التي هفاها . ١١ : يا ابن الله الحي الذي اضجع بين الموتى ثلاثة ايام باختياره اشفق على الراقدين الذين اخذوا جسدك ودمك . ١٢ : فلنذكرنّ بصلواتنا الموتى ابناء البيعة . ١٣ : امنح يا ربنا يسوع المسيح برحمتك رجاء مباركاً للموتى المحبوسين في الجحيم . ١٤ : أرح اللهمّ الموتى الذين اكلوا جسدك وهم يسألون عظتك المراحم بواسطتنا .

و : من صلاة ستار الاثنين وليل الاثنين . ١٥ : ويفتقد بجودنا الموتى المؤمنين في محالهم . ١٦ : اني مررت بين الاموات ، فرأيت الاجسام قد بليت ، فصرخت اللهمّ أشفق على عبيدك الذي بلوا في مثواهم ، وانضحهم بندى المراحم وابعثهم من دركات الجحيم . ١٧ : يا ابن الله تعزية الحزانى عزِّ الموتى المحزونين وابهجهم فانهم بدمك مقتدَين .

ه : من ليل الثلثاء والاربعاء . ١٨ : اللهمّ رشّ الندى المملوء مراحم على عظام الموتى المؤمنين . ١٩ : اقبل اللهمّ القرابين والبواكير والعشور والصدقات .. التي تقدم عن الموتى وامحق بها ونظّف كلّ كدورة ودنس ووسخ صدر منهم غفلة . ٢٠ : من الواضح لكل اديب ان الموتى ينتفعون اذ تقدم البيعة الاسرار عنهم ، وانهم يفرحون بالقربان الذي يقدمه الاحياء عنهم ويشعرون وهم في الجحيم ، بالذبيحة التي تقدم لاجلهم .

ه : من ليل الخميس . ٢١ : وانتشلهم بمراحمك السرمدية بدون خوف ، من المحل المرعب ومن الامكنة المظلمة . وأصعدهم من المثوى المظلم الى عدن اللذات وادعُهم من ظلال الموت الى حيث تديسوك . ٢٢ : نسألك اللهمّ ان تقبل منا هذا العطر الذي قدمناه عن الموتى الذين ظعنوا اليك .

ا : من صلاة الصبح يوم الخميس . ٢٣ : ايها الحنان الذي رشّ الندى على فتيان بيت حنانيا ، رشّ ندى الغفران على عظام الموتى .

س : صلاة مساء الجمعة . ٢٤ : فليرشّ ذلك الذي وهب البصر الاعمى ، ندى المراحم على عظام الموتى المؤمنين .

ل : صلاة الصبح ليوم الجمعة . ٢٥ : لنذكرنّ بصلواتنا الموتى المؤمنين ولا ننسهم بحجة انهم ذهبوا عنا . ٢٦ : فليسقط ندى المراحم بالمراحم على الموتى وتترطّب به الاجسام التي بليت بالفناء .

ب : صلاة ليل السبت . ٢٧ : الشكر للروح القدس الذي يغفر للموتى نقائصهم ويورثهم الحياة الجديدة مع القديسين . ٢٨ : فلتشرق الشمس التي اشرقت لموسى ، على نفوس الموتى فيجوزون المكان المخيف الى المكان البعيد عن الاوجاع . ٢٩ : ايها الحنان الذي رشَّ الندى على فتيان بيت حنانيا ، رش ، يا رب، ندى الغفران على رفات الموتى . ٣٠ : وليرافق الموتى المؤمنين الذين اكلوا جسدك وشربوا دمك بواسطة عطر البخور .

ثانيًا : شهادات التشمشت (١

: شهادات فرض احد الموتى — من التشمشت .

: من صلاة المساء . ٣١ : لا تدع في الفناء، وظلال الموت نفوس الموتى المؤمنين واجسادهم . فانهم اعترفوا بك في حياتهم . ٣٢ : فليتسامح بجسدك ودمك الموتى الذين رقدوا على رجائك . ٣٣ : اما ها هنا فارفع تذكارهم على مذبحك الناطق بما يتقدم عنهم من الحسنات والخدم والقداديس والعشور والصلوات والغفرانات والقرابين .

٢ : من صلاة الصبح . ٣٤ : اخمد النار عن عبيدك . . وشجع الموتى المسجونين في اعماق الجحيم ينتظرون ظهورك . ٣٥ : ان كهنتك يقدمون لك في المقدس بخورًا عطرًا طيبًا زكيًا فاقبله اللهم، كبخور هارون . . فيتسامح به الموتى الذين آمنوا بك ورقدوا على رجائك . ٣٦ : ان البيعة تصنع تذكارًا لجميع الموتى الذين رتلوا المجد بين صفوفها . واخذوا عن المذبح الجسد والدم وتناولوهما بايمان حتى ليكون غفرانًا لذنوبهم .

ب : فرض بيان يوسف :

من صلاة الستار والصبح . ٣٧ : كن غافرًا للموتى المؤمنين .

ﻫ : صلاة احد الابرار والصديقين . ٣٨ : اشفق اللهم واغفر وامح وأجز خطايا عبيدك الذين تقدموا فرقدوا على رجائك . ولا تحسب لهم جهالاتهم .

و : من مساء شرف العذراء ، للقس عبد المسيح لبان الحلبي (١٧٤٢) .

١) لفظة سريانية تعني كتاب الصلوات البيعية لاعياد بعض القديسين والاعياد السيدية ولبعض الآحاد مما لم يطبع بعد كما هو معروف عندنا في لبنان . سنحيء على درسه مفصلًا في مقال آخر .

المشرق (٥ (١٩٠٢) ٧٨٦ – ٧٩٢) . ٣٩ : ها هوذا مجندل في عمق المطهر الموتى الذين اعتمدوا باسمك وخدموا مريم امك . وانتقلوا على رجائك . اصعدهم اللهمّ الى مقرّ يمينك . ٤٠ : اصعد الى جنتك موتى كنيسة رومية المجندلين في نيران المطهر القاسية . ولذذ ارواحهم مع سيدتنا مريم وشفيعنا يوسف .

ه : فرض احد الكهنة .

من صلاة الصبح : ٤١ : رشّ اللهمّ بحنانك ندى المراحم والحنان على آبائنا الذين رقدوا على رجائك . واشفق اللهمّ على مثالنا المتوسد الجحيم الذي لاجلك نبذ العالم ولذاته .

٥ : مساء فرض الحبل بلا دنس : لعبد المسيح لبيان ايضاً .

٤٢ : ايها الموتى المودعة رفاتهم في التراب والمحبوسة نفوسهم في الجحيم، هوذا مريم والبيعة تبتهلان الى الربّ لينجيكم من المطهر .

٤٣ : اهلي ، ايتها البتول، الموتى المؤمنين الى النجاة من المطهر ، فيتمتعوا مع يوسف خطيبك والقديسين شفعائنا بالسعادة في تلك المدينة التي لا تحتاج الى الشمس والقمر لكون المسيح ابنك مصباحها يشع لاهوته فيها .

ا : فرض عيد الوردية الكبيرة . له ايضاً .

١ : من صلاة المساء . ٤٤ : ان الموتى الذين اكلوا جسدك وشربوا دمك ، هم مطروحون في المطهر يتوقعون صوتك ، فنجّ نفوسهم بصلوات والدتك واصعدهم الى السماء .

٤٥ : لا تحزنوا ايها الاموات المحبوسون في جب نار المطهر ، فهوذا الام بحر المراحم ، تتضرع الى ابنها لينجيكم من الهاوية .

٢ : من صلاة الستار . ٤٦ : هوذا مثالك مرميٌ في الهوتة السفلى ، مدرىً غبارًا ، فاقبل تضرع امك لاجلهم . ٤٧ : اصعد من نار المطهر امواتنا المؤمنين ، يا مولى المراحم ، وذخيرة الحياة ، والمخلص الذي منح بني البشر الخلاص ، اشفق بتحننك على موتى المطهر وامنحهم الغفران .

٣ : من صلاة الصبح . ٤٨ : يا ابن مريم ... اغفر للموتى الذين اعترفوا بك . يا مخلصنا ... نجِّ الموتى الذين رقدوا على رجائك من الهوتة الرهيبة فيفرحون مع امك ويوسف في جنان النعيم . اصعد الموتى الذين اعترفوا بلاهوتك

وكرموا امك ، من تلك الهوتة المرعبة نارًا الى ملكوت الاخلاء . ايها الغير المائت ، انتشل بفيض مراحمك ، ابنا. البيعة من نار المطهر بتضرع يوياكيم وحنه ويوسف ومريم الطاهرة . ٤٩ : ايها الابن الذي بعث بقيامته الذين في القبور ، انضح الندى على الموتى الموجودين في عـذابات المطهر . ٥٠ : يا ملجأ اولاد آدم تضرعي الى ابنك لينضح على الموتى نـدى الغفران وينشل ارواحهم من نار المطهر محل العذاب .

مـ : فرض احد الثالوث الاقدس . له ايضاً .

١ : من صلاة المساء . ٥١ : فليذكر بمكان الافراح في اجواق الابرار ، الموتى الذين في الهاوية المملوءة احزاناً .

٢ : الستار . ٥٢ : ايها الثالوث الاقدس ارحم اشفق على الموتى الذين اعترفوا بك واصعدهم الى محل الافراح .

٣ : من صلاة الصبح . ٥٣ : اتحد ايها الثالوث الاقدس ، اولئك الذين اشتركوا في الدم ، وكمّ الموت افواههم ، وامسوا اسرى في هوتة الآلام العميقة . ٥٤ : فليصعد من نار المطهر ويرث الحياة الابدية الموتى الذين رقدوا على الرجاء ، وتجندلوا في الجحيم محل العذاب .

ثالثاً : شهادات الجنازات .

ا : جناز الاحبار . ٥٥ : اصنع اللهم خـلاصاً عجيباً من اجيج المطهر للذين اكلوا جسدك الكريم . لا تدع اللهم حبرنا متعذباً في المطهر .

ب : جناز البتولات . ٥٦ : قدم القربان عن موتك ، وارسم تذكارهم في محل الغفران . ( اي المذبح ) . قدم الصلاة النقية في القدس لاجل موتاك .

ج : جناز الرهبان المفرد . ٥٧ : وليشرق نورك على اعضائك في ذلك المكان المرعب ظلاماً ، وليُبط بهاؤك بروع الظلام الذي يحيط به في محـل الاضمحلال . ٥٨ : يمينك يا رب ، تنتشل عبيدك من الهوتة المرعبة امواتاً . ليشرق نورك على وجه عبدك ويطرد ظلام الجحيم عنه . وجـد ابن الله ودمه يمنعان النار عن اعضائه .

د : شهادات جناز الرهبان عموماً . ٥٩ : انتشلهم من الوهدة التي تبتلع الاموات واصعدهم بلا خوف الى المكان المبارك الذي جاهـدوا لاجله على

رجائك . ٦٠ : ان ذاك الذي صار حبرًا وذبيحة الغفران ، هو ينجم الغفران وينقذهم من النار الزمنية .

ه : من جناز الرجال . ٦١ : انقـذ من يد الجحيم نفس عبدك الساجد لك .

رابعًا : شهادات نوافير القداس الالهي .

( قدّم تاريخيا يرتبط بتقدّم تاريخ الموارنة )

أ : شهادات النافور اليومي . ٦٢ : ويصنع راحة صالحة للموتى المؤمنين الذين فقدوا من هذه البلدة . ٦٣ : بهذا القربان الذي يقدمه الاحياء عن الاموات ، يغفر اثم النفس وتترك نقائصها . ٦٤ : يا حمل الله ، ويا ايها الراعي الذي مات عن خرافه ، اصنع للموتى المؤمنين راحة . ٦٥ : فلتخمد النار عني حينما يعبق بها اريج جسدك ودمك .

ب : شهادات قداس رسم الكاس. ٦٦ : واقبل اللهمَّ هذا القربان . . . الذي نقدمه لاجل النفوس والارواح التي نصنع تذكارها امامك — وتجعل به ( اي القربان ) راحةً للاموات — واذكر من صنع هذا القربان لاجـله واغفر ذنوبه واترك خطاياه .

خامسًا : شهادات خدمة القداس الالهي . (تاريخ وضعها يتعلق بتاريخ وضع النوافير) .

أ : خدمة كل يوم . ٦٧ : هوذا القربان قد تقرب والانفس تذكر ، فليكن بواسطته راحةٌ للموتى الذين يقـدم عنهم . ٦٨ : انه لفرحٌ للعلويين ورجاء صالح للسفليين في القربان الذي يصنعه الاحياء لاجل موتاهم.

ب : خدمة الموتى . ٦٩ : لاشِ اللهمَّ ، بتحننك اجيج النار والضَّرَم عن الاموات الذين آمنوا بك . ٧٠ : يا من تحبّ الميت الذي انتقل من هذه الحياة ، اظهر محبتك له . لا تحزن جدًا فذلك لا يفيده انما اصنع القربان في بيت القدس بالخبز والخمر ، بايدي الكهنة لاجل نفس المتوفى ، ليعطى الراحة، والرب الذي ينظر محبتك يغفر الميت . ٧١ : ايها البار الذي قتل الموت واحيا آدم وبنيه ، خلص من العذاب الموتى الراقدين على رجاك . . .

تنبيه : يوجد غير هذه الشهادات كثير من امثالها في كتب الموارنة البيعية لم نطلبها بدنا الآن .

# انشقاق فوتيوس – تاريخ واسطورة

بقلم الاب يوحنا كابلوس اليسوعي

قال دفورنيك « Dvornik »[1] في مطلع فصله الاول : «من المؤكد ان التاريخ قلّما عرف اسماً كان محور المتناقضات كما تضاربت حول اسم فوتيوس الآراء . فاذا كان في نظر الشرق المسيحي بطلاً وقديساً فهو في اعين الغرب بمقوت لانه اثار قوى التفرقة والانشقاق الهدامة . ولئن اتخذه الشرق شفيعاً عند الله فان الغرب يجعل منه رمز الكبرياء وسورة الحمية الاكليريكيتين. وان احترمه الذين يطالبون باستقلال قومي وسيع في حياة الكنيسة ، فان غيرهم ليصدف عنه بودّهم لانه يرمز الى الانقسام والى تهديم الجامعة المسيحية ... فلذلك بات ردحاً طويلاً من الزمن سمة التناقض» .

ولم يكن تأثير فوتيوس دينياً فقط : وقد رأى فيه بعض الفلاسفة واللغويين منذ عهد النهضة عبقرياً حمل مع غيره الى الاجيال الطالعة نَشَب[2] الثقافة الاغريقية المدرسي .

ومن كان هذا شأنه في تضارب الآراء بحقه فجدير بان نعيد النظر في سجل حياته لنقف عنده ولو بعض التوقف، ونقارن بين الشهود فنتبين اذا كانوا قد اضلّوا سبيلاً في اقوالهم حتى اذا دعت الحاجة ارجعناه الى مقامه في اعين الاجيال الطالعة .

وانها للمهمة التي اتخذ الاب فرنسيس دفورنيك ، الاستاذ في جامعة براغ الكاثوليكية ، على عاتقه امر معالجتها بجلد باعث على الدهشة وبعلم يستجلي الغوامض والبواطن . فيا لها من مهمة في خير مناسبة .

وها هي ذي ريح تهب عن بعد وطفقت تبدد الغيوم الملبدة وتنقي الجو الذي ظلّ وتناً طويلاً قاتماً مسموماً .

---

1) François Dvornik : *Le Schisme de Photius, Histoire et légende.* Editions du Cerf in-8° 662 pp. Paris 1950

٢) النَشَب : في القاموس المال الاصيل من الناطق والصامت وقد استخدمنا هذه اللفظة لترجمة كلمة « patrimoine » الفرنسية .

وانا نود الكلام على هبوب هذه « الريح المسكونية » التي علقت منذ عشرات السنين تعبر سما. الكنيسة وتنظف العقول التي نفحتها منذ اجيال بعيدة سموم احكام خاطئة وسوء فهم وحذر متبادل واحقاد مذهبية.

وتبدو قضية الوحدة المقدسة مثار احدث اهتمام في عصرنا وهي من دون شك التي ستميّز الشكل الديني للنصف الاول من القرن العشرين.

والنفس المؤمنة في مثل هذا المقام اكثر من حافز انساني بحت، ففيه يد الله ونعمة الروح القدس التي تلج شيئاً فشيئاً المجهودات البشرية لتوجهها وتسيّرها الى الوحدة من دون ان تكبحها بالعنف.

وما الامر هنا الا تمهيد واعداد بعيد ينعشه الامل السري الذي سيهبه اياه الله ليأتي ثماره. والعمل على جمع شمل الاخوان المشتتين هو الهمة التي لا تستطيع كل نفس تحبّ المسيح وكنيسته وتجعل انجاح سرّ النداء - عمل الله الاعظم - فوق كل شيء. ان لا تضطلع به.

ولهذا « الاعداد البعيد » طرق شتى للعمل: بالصلاة، والمثل والقول والقلم ... وليس لهذه المجهودات الّا غاية واحدة وينبغي ان لا يكون لها غير غاية واحدة،اي ان لا نُديل[1] من احد ولا من مذهب بل ان نكشف الحقيقة ونؤمن انتصارها في سبيل هذه الحقيقة نفسها انّى كانت اذ كلنا نتوّاق اليها لانها بنت الله!

وثمت حقيقة ذات قيمة لدى جميع البشر يستطيع قبولها كل تلميذ ليسوع المسيح. فنحن نودّ ان نتحد ونعانق بعضنا بعضاً في هذه الحقيقة معانقة اخوية.

ولنقتصر هنا على قول كلمة في هذا الاعداد ضمن نطاق من يحيط علماً بالشيء. عن طريق القلم لان كتاب الاب دفورنيك هو الذي لفت انتباهنا - فاذا كان في مقدورنا جميعاً العمل في سبيل الوحدة بالصلاة او المثل ... فان المساهمة فيه بواسطة القلم لاشد دقّة بسبب مستلزماتها العلمية من تاريخية ولاهوتية التي هي من دأب أولي الاختصاص الذين وقفوا النفس بصبر لا ينفد

١) ادال منه : اي غلبه .

على هذه المهمة لاستقرائها استقراء، رائده الوجدان . وليس هولاء الاختصاصيون قليلي العدد، اذ منهم في كلّ بقاع العالمين، ولاسيما في اوروبا . فهناك مؤلفات من الطراز المعلم بقيمتها «من كتب ومقالات في المجلات ومن معاجم ومجاميع ومحاضرات . . . » تعمل مساهمة لاستمرار «شعلة الوحدة» وتشيع النور على الشؤون الحيوية التي تتصل بعمل الوحدة .

ومجموعة نشرات «واحدة مقدسة» «Unam Sanctam» قد اتخذت على عاتقها مهمة اضرام هذه الحماسة واغداق هذا النور . وها هي ذي نشرتها العشرون والمجلد العشرون . اما الجزء التاسع عشر فبقلم المؤرخ والعالم الشهير الاب فرنسيس دفورنيك وعنوانه : «انشقاق فوتيوس ، تاريخ واسطورة» .

والمؤلف المذكور ممن تفوّق بين مؤرخي ذلك العهد الصاخب بين عهود وتاريخ القرن التاسع البيزنطي ، وله فيه القِدح المعلى ولا يضارعه كفاءةً احد لانه وقف جميع ايامه على التنقيب فيه . ولقد اطّلع الجمهور على نتائج بحوثه في مؤلفاته العديدة ومقالاته التي نشرها في المجلات .

وصدور هذا الجزء كان قد اعلن عنه الجمهور لسنة ١٩٣٧ او ١٩٣٩ ، لكنّ الحرب حالت دون امنيته فصدر عام ١٩٥٠ .

وفي توطئة موجزة اوضح لنا المؤلف كيف رأى كتابه النور . . . لقد كان يدرس حياة الرسولين السلافيين القديسين كيرلّوس «Cyrille» ومتودوس «Méthode» واعمالها فقال : «لقد القت في ذهني هذه الدراسة انه لا مندوحة عن تدوين تاريخ البطريرك المشؤوم فوتيوس من جديد . فهناك مجال لاعادة النظر في الحجج التي حكم عليه بالاستناد اليها . . . وكانت نتيجة بحوثي الاولى ان اكتشفت تفاهة قيمة المصادر التي استند اليها تاريخ الانشقاق الثاني .

وقد وجدتُ ان كلّ ما كتب عن القطيعة الثانية بين فوتيوس وروما انه ليس غير صحيح فقط بل مخالفة محضاً . . .(ص ٢٣—٢٤) . وشرع المؤلف بعمله صادراً عن فرض هو في مصلحة فوتيوس ، وهو ان سجلّ حياته البيزنطي لا يستحقُّ الثقة التي اولاه اياها المؤرخون لانه قد كتبه الخصوم ورتّبوه فلذلك كان تاريخاً زائفاً برمّته في مصادره نفسها . وفضلاً عن هذا فان بيزنطية كانت

في العهد الذي درسه دفورنيك كأنها منشطرة حتيتين[1] مختلفتين كل الاختلاف في عقليتها الا هما فئة الاحرار الذين يدعمون فوتيوس وفئة غير المتسامحين او المتعصبين الذين يناصرون قضية اغناطيوس . ولكن لم يصل الينا الا سجل القضايا المعادية لفوتيوس .

ما قيمة هذا السجل ؟ لقد انخدع به مؤرخون حسنو النية كبارونيوس « Baronius » وهرغنروثر « Hergenröther » وغيرهما ، وذلك بالثقة التي منحوها لاولئك الانصار المتحمسين المتحزبين ثقة بعيدة عن النقد ولا يستحقونها ، على حين ان القضية كانت تستلزم استئناف البحث فيها بالاستناد من جديد الى غيرهم .

ولقد انصرف دفورنيك بدأب لا يعرف الملل — ولا نقوى الا على ان نعترف له بالجميل عليه — الى درس هذه القضية .

فتساءل من نفسه : هل هناك انشقاق ثانٍ لفوتيوس ؟ ام هذا الانشقاق الثاني الذي عُزي الى ذكر اسمه كان خطأ تاريخيًا علينا ان ننزعه من التاريخ الصحيح ؟

انه من الثابت تاريخيًا ان فوتيوس قد ارتكب جريمة الانشقاق الاول عندما اقدم ، في ساعة حنق ، على حرم البابا القديس نقولا الاول بجسارة لم يعرف لها التاريخ مثيلًا ، وذلك في احد المجامع المنعقد في بيزنطية سنة ٨٦٧ ( ص ١٩٣ ) . فكان ان حرمه بدوره القديس هادريان الثاني « Hadrien II » خليفة نقولا الاول المباشر على عمله هذا . اما نقولا الاول فقد ادركته الوفاة قبل ان يعلم ما ارتآه فوتيوس .

ولقد ارتقى فوتيوس السدة البطريركية مرتين .

والامر الذي علينا ان نعرفه هو انه اذا كان قد حُرم للمرة الثانية ؟ واذا كان يوحنا الثامن هو الذي حرمه سنة ٨٨٦ كما يذكر لنا المؤرخون حتى الآن .

لقد افضت البحوث التي قام بها دفورنيك الى ان يجيب بالنفي على هذا السؤال والى ان يرغب في اصلاح التاريخ الرسمي حول هذه النقطة .

---

١) وفي الحديث قاموا حتيتين اي جماعتين ، وقامه ان بني اسرائيل لما أمروا ان يقتل بعضهم بعضًا قاموا حتيتين وقد اخترنا هذه العبارة لترجمة عبارة «deux groupes rivaux» الفرنسية .

اجل ان نتيجته هذه لذات اهمية وبودنا ان نتيقّنها . اما دفورنيك فيقول لنا اننا على يقين بشأنها ، وهو يتفق في هذا الصدد مع اختصاصي آخر مشهور بالتاريخ البيزنطي الا هو الاب غرومل « Grumel » (من الآباء المريمين الانتقاليين ، المحرر في مجلة « صدى الشرق » التي تحولت بعد الحرب الاخيرة الى « بحوث الدراسات البيزنطية » .

والاب غرومل قد وصل الى النتيجة نفسها التي وصل اليها دفورنيك عن طريق قيامه ببحوث من الطراز ذاته ، ولكنها بحوث مستقلّة عن زميله « لان احدهما كان يجهل عمل الثاني » ، وذلك عن طريق نقد المظانّ البيزنطية عينها المشبوهة كل الشبه نقدًا دقيقًا .

ولقد بسط الاب دفورنيك امامنا نتيجة هذه البحوث في كتابه . اما نحن فيشوقنا ان نطالع الجمهور الجمّ على هذه النتائج وبذلك نغتبط النفس على خدمتها الحقيقة ونقضها خطأ قد استمرّ طويلا .

ج

١ً – طلائع المأساة : راودت دفورنيك في فصله الاول الضافي فكرة موفّقة وهي ان ينتقل بنا الى جوّ بيزنطية الفلسفي الديني في الشطر الثاني من القرن التاسع ، ليجعلنا ندرك ادراكًا اتمّ منطق الحوادث الباطني الذي سيذكّرنا به .

اجل لقد كانت العقول في بيزنطية منقسمة انقسامًا بيّنًا الى فئتين : فئة المحافظين او المتعصّبين وفئة الاحرار او المعتدلين . وكانت جذور تلك الاختلافات قديمة تعود الى ما قبل تاريخ حروب تكريم الايقونات، اي الى نشأة الامبراطورية نفسها (ص ٣٥) .

ويقول هذا العالم ان خاصة العقلية البيزنطية المتفردة بها تتضح من دور تلك الاحزاب :

« لقد كانت المسيحية الشرقية تستند الى اساس قومي مما خوّل كل مؤمن ان يساهم مساهمة فعلية في الخدمة الالهية وحياة الكنيسة واتاح السبيل الخاصة للادلاء بآرائهم في اغمض النقاط اللاهوتية . فقامت منظمات شعبية كالمنظمة الزرقاء والخضراء لتكون كاندية لحشد المناضلين في سبيل التعاليم الصحيحة او الخاطئة وباتت كمرجع لتدعم نشاط زعماء كل فئة من تلك الفئات » (ص ٣٦) .

ونجلت[1] فكرة الحزبية القديمة حتى بعد تصفية خصومات تكريم الايقونات (٨٤٣) بشكل جديد في الصراع الذي نشب بين انصار « Iconomia » (الذين يعملون بموجب اتفاق هاوٍ في امور لا تتعلق بالايمان) وبين المتعصبين الاشد تصلباً في التمسك باحترام العادات الاكليريكية وتطبيق القوانين المقدسة (ص ٣٧).

وكان المتعصبون من الرهبان ولاسيا الاستوديون « Studites » ومن الطبقات ذات الثراء الاشد تمسكاً بالتقاليد الدينية القديمة. اما المتدلون النازعون الى سياسة « Iconomia » فكانوا يجدون مشايعيهم بين الطبقات العاملة المعرضة لمصاعب حياتها اليومية، ولذلك كانت تميل الى الاتفاق.

واننا لنرى كيف كان الشعب البيزنطي في تلك الاوضاع والانماط[2] ممعناً في تقهقره في عهد منازعات الفرقتين الزرقاء والخضراء السياسية الدينية القديمة (ص٣٩)، كما نرى كيف كان الاحرار والمتعصبون ينصبون الاباطرة والبطاركة ويعزلونهما كما توحي اليهم اهواؤهم الحزبية.

واعادة تيردورا « Théodora » تكريم الايقونات (٨٤٣) افتتحت مرحلة في اتساع الحزبين (ص ٤٢). وعقب وفاة البطريرك يوحنا غراماتيكوس « Jean Grammaticos » (٨٤٣) نصبت هذه الامبراطورة خلفاً له متودوس « Méthode »، وهو من الاحرار المعارضين للاستوديين فعيّن هذا الاخير في المراكز الشاغرة مرشحين احراراً — فاستشرى[3] غضب الاستوديين ونصبوا انفسهم مدافعين عن القوانين المقدسة ورفعوا الصوت حاملين على الحزبية والاجحاف. ونجم عن ذلك انشقاق داخلي، وانتهى الامر بتردبوس، الذي استاء منهم، ان حرم الاستوديين وانصارهم.

ولقد كان لانشقاق الاستوديين هذا وطأته على تطور الحوادث التالي. فلذلك لا نرى مفرّاً من ان نقول فيه كلمة تعطينا فكرة وضعية عن ذلك الجو

١) نجلَ او نجِل: تقول نجلت اليد اي ظهر في جلدها كالنفاخات يملؤها ماء من عمل او حرق وقد استخدمنا هذه اللفظة لترجمة كلمة « surgir » الفرنسية.

٢) نَمَط: في القاموس معناها جماعة امرهم واحد وقد استعملناها لترجمة لفظة « cadre » الفرنسية التي وضعوا لها لفظة ملاك.

٣) يقال استشرى غضب فلان اي احترق من الغيظ.

الصاخب صخباً خاصاً ، وسوف تجري فيه احداث لن نهمل الاشارة اليها .

ويجدر بنا الملاحظة ان كل ما يسرده لنا دفورنيك عن ذلك العهد الشديد الاضطراب ليس جديداً . اما الحقيقة فهي غيرها في نقاط عدة .

ويرتبط القرن التاسع ، ازهى عهود بيزنطية اشعاعاً ، باسم فوتيوس — لانه بعد التبديل الذي بدأته الاسرة الايزورية في القرن الثامن وبعد انتصارها على مبغضي الايقونات ( ٨٤٣ ) كانت بيزنطية في اوج ازدهارها . وقد انتهى الامر بالعنصرين الشرقي واليوناني اللذين تحاربا اكثر من قرن الى التآذج، فعرفت بيزنطية بفضله نهضة امتدت من المضمار العقلي الى المضمار السياسي، وبلغ الشعور القومي ملئاً من الثقة ليعلن تفوقه على العالمين اللاتيني والاسلامي .

ولا شك في ان شخصية فوتيوس الذي رسم لنا دفورنيك الصورة التالية عنه كانت قطب تلك النهضة :

«لقد كانت سعة معارفه تثير اعجاب ابناء عصره وتفرض احترامه على الد خصومه . فكان ينتمي الى اسرة نبيلة يونانية الجنس وكان يمت بصلة النسب الى احدى الاسر المقدونية . اما ابوه الذي عانى مرّ الاضطهاد لتمسكه بتكريم الايقونات فكان موضع احترام المؤمنين . واذا لم يكن فوتيوس الشديد التقرب من البلاط الامبراطوري يتمتع بمحبة منافسيه ، الامبراطورة تيودورا (واللغوتس) » Logothète« تيوكتيست » Théoctiste « وبرداس عم الامبراطور الفتى ميخائيل الثالث ، فانه كان على الاقل يتمتع باحترامهم . ولقد رفعت شهرته كعالم مدرسة القسطنطينية المركزية الى مرتبة جامعة . اما ندوته الادبية التي كانوا يتناقشون فيها بالادب المدرسي، وهو الموضوع الاكثر رغبة في بيزنطية ، فكانت تجتذب اليه نخبة الطبقة المثقفة» ( ص ٣١ ) .

وعاش فوتيوس في عصر سيطرت فيه المجادلات اللاهوتية التي اشربت النفوس روح التعصب . اما اضطهادات اصحاب نظرية تحطيم الايقونات فقد تركت في نفس الكنيسة ندبة جراح عميقة اهم لشغائها منها البطريركان القديسان متوديوس (٨٤٣ — ٨٤٧) واغناطيوس . فكان نجاح اولهما قليلاً حتى عجل انشقاق جديد قامت به العناصر المحافظة التي سبق لنا ان ذكرناها وهي العناصر التي تعترف بسلطة رهبان ستوديون » Stoudion « .

ولقد مات متوديوس تاركاً خلفه حالة شديدة الاضطراب . فوُفق اغناطيوس الذي كان من نبعته[1] اجتذاب الرهبان المشاغبين اكثر من سلفه بيد ان توفيقه كان مجلبة لردّة فعل قوية لدى خصومه اذ انفثأت الدسائس السياسية لتزرع التصدّع بين حزب الامبراطورة وحزب اخيها برداس الذي حالف الامبراطور الشاب ميخائيل الثالث ، مما افضى الى قيام النزاع بين البطريرك واتباعه وبين الدولة ( ٨٥٨ ) ( ص ٣٢ ) .

واختير فوتيوس خلفاً لاغناطيوس عندما كان على رأس مستشارية الامبراطورية ففتح ذلك في تاريخ بيزنطية «فصلاً كثير التفاوت يمثل فتنة تعاظمت مصايبها في تاريخ المسيحية . وارثت[2] اعمال فوتيوس نار معارضة قويّة فاوجدت له اعداء عرفوا ان يسوّدوا صحيفته ويصوّروا خبث نيّته ابشع تصوير ليتوصّلوا الى تحطيم شهرته في نظر الاجيال .

ويبدو فوتيوس كما نعتوه انه رجل لا يزعه وازع وجداني ولا حدّ لطموحه في سبيل ارتقائه السدّة البطريركية . فتواطأ مع حكومة ميخائيل الثالث وبرداس لاسقاط تيودورا وناصرهما ليتخلّص من اغناطيوس الذي لم يكن له الا ذنب وحيد وهو انه أنّب برداس لفحشه .

ولما رفض اغناطيوس التنازل عن سدته استولى عليها فوتيوس واضطهده مع اتباعه اضطهاداً لا هوادة فيه .

ولقد ارسل يطلب من نقولا الاول موافقته الرسمية بعد ان اعمت الكبرياء والطموح بصيرته وبدّل كل هذه الرواية . لكن البابا ابى الاعتراف ببطريرك ارتقى السدة متحدّياً الحق القانوني لانه كان مطلعاً على الامر بواسطة موفدي اغناطيوس السريين ... فما كان من فوتيوس الّا ان حشد مجمعاً من الكنيسة الشرقية وعزل البابا واوجد الانشقاق الاول ...

ووجد فوتيوس عقابه حالّاً في عهد باسيليوس الاول « Basile » ( الذي قتل ميخائيل الثالث واستولى على عرشه ) فقد خُلع واعيد اغناطيوس الى

١) النبعة ضرب من الشجر والكريم بطبعه .

٢) ارّث النار اوقدها او اغرى بين القوم وقد اخترنا هذه اللفظة لترجمة فعل « susciter » الفرنسي .

كرسيه ... وعقب وفاة اغناطيوس عاد فوتيوس واكتسب عطف الامبراطور وتسلّم ثانيةً مقاليد الكرسي البطريركي ، ولكي يتأكد من موافقة البابا الذي كان يميل الى الاتفاق عمد الى خدعه بتحريف رسائله ورشوة مندوبيه وتزييف اعمال المجمع . ولما علم يوحنا الثامن بهذه الخدعة حرمه مباشرة . فكان من هنا الانشقاق الثاني الذي استمرّ حتى نهاية القرن التاسع وسوّد وجه القرن العاشر» ( ص ٣٢–٣٣ ) .

هذه هي الرواية التي نستطيع حتى الآن قراءتها لدى المؤرخين . اما مهمة دفورنيك فتقوم على ان يحلّل بلبلة تلك الاحكام الشديدة التنافي ويستنبط منها ما فيها من نصيب صحيح تاريخيًا ويكشف كيف انتشرت الاسطورة حول هذه الشخصية الكبيرة . فما اكتفى ببحث الذرائع العصرية ، ولكنه تابع ببحث التقليد عبر القرون الوسطى الى ايامنا القائمة الذي يلازم اسم فوتيوس في الغرب والشرق . واشهر المؤلفات التي حملت على فوتيوس هي كتابات الاب تيونوست « Théognoste » ورئيس الاساقفة ستيليان « Stylien » ومتروفان « Métrophane » ونيستاس البافاغوني « Nicétas de Paphlagonie » وربما كان هذا الاخير هو واضع حياة اغناطيوس « Vita Ignatii » ، وثمّت ملحوظات مؤلف مجهول وهي مجموعة ضد فوتيوس — وتمتاز هذه الكتابات برمّتها في كونها سامّة اللهجة قد اوحتها البغضاء . ولا سبيل لتعليلها بانها تطرّف بالاستمساك الديني والاخلاقي فقط ، فهي وليدة نزعتهم السياسية مصطبغة بالاعتبارات الدينية الاخلاقية . وتحمل هذه الكتابات كلها طابع الملاحاة السياسية الدينية ، وهي من وضع فئتين متعاديتين كانتا تتنازعان الاشراف على الكنيسة والدولة اي من صنع طائفة الاحرار او المتدلين وطائفة المحافظين او المتعنتين .

ولا سبيل للشك مطلقًا ( ص ٣٥ ) في قيام ذلك التيّار المزدوج الذي كان يبذل كل فريق منه مجهوداته ليقبض على مقاليد الامبراطورية والكنيسة . ولقد كان ذلك الخلاف قائمًا بين اغناطيوس وفوتيوس ، وهو الذي يفسّر اسباب القطعة بين المسيحية الشرقية والغربية في ذلك العهد . ولنستأنف مع دفورنيك النظر في مجرى تلك الحوادث بحسب تطورها التاريخي .

٢ — بطريركية اغناطيوس : بدا الموقف الديني صعبًا غداة وفاة

متوديوس (٨٤٧) إذ انحاز قسم من الرهبان الى الانشقاق وكانت الحكومة قلقة وقد حيّرها كثيراً موقف الاستوديين وحلّ الحزن خاصة بساحة تيودورا لانها كانت تعطف على الرهبان المتصلّبين ، الذين عملوا كما نظنّ جميع ما في وسعهم لاكتساب عطفها .

وكان ذلك شديد السهولة عليهم بسبب استئناف حشد الصفوف في بيزنطية شيئاً فشيئاً اذ نُحّي برداس شقيق تيودورا تماماً وحلّ محله تيوكتيست « Théoctiste » . فحسد الاول الثاني ورأى الثاني في برداس منافساً له . وقد تودّد برداس الى الاحرار فارتضى تيوكتيست بطيبة خاطر بمعاضدة المحافظين المتمتين له ليردّ على خصمه ( ص ٤٨ ) . وكان لا بدّ لمثل تلك الاوضاع من ان تنجم الدسائس والمكايد .

ولم يكن اختيار اغناطيوس بطريركاً الّا اتاحة للفرصة امام الحزبين ليختبر كل منهما قوته . والعديدون الذين قدّموا ترشيحهم ( ص ٤٩ ) ومن جملتهم ولدا لاون الخامس « Léon V » باسيلوس وغريغوريوس قد ضُرب على اسمائهم . امّا الدور الاعظم فقد مثّله غريغوريوس اسبستاس « Grégoire Asbestas » رئيس اساقفة سيراكوز « Syracuse » ورئيس سياسة متوديوس الدينية وهو اصله من صقلية كمتوديوس .

ولا يعزب عنا في مثل تلك الاوضاع ان تتدخل الحكومة لتحول دون اتصال المضار المشؤومة بين صراع النزعتين بالكنيسة والدولة .

ومن المحتمل ان تكون الامبراطورة عزمت على مناصرة الراهب اغناطيوس ابن ميخائيل رنغابه « Michel Ranghabé » الذي كان آنذاك رئيس احد الاديار في جزيرة الامراء بناء على ايعاز وزيرها تيوكتيست .

ولكن كيف تمت ترقيته ؟ فهل الامبراطورة هي التي عيّنته ؟ ام هل استدعت مجمعاً للانعقاد لكي ينتخبه ؟ ليس لدينا شيء يثبت ذلك او ينفيه ( ص ٥٠ ) . بيد ان كل ما هنالك ، كما يقول دفورنيك ، يحمل على الظن ان تيودورا التي كانت تحرص على تجنب ازدياد الاضطرابات لم تتبع الطريقة المألوفة نعيّنت هي نفسها ، بعد ان استشارت بعض الاساقفة من ذوي

النفوذ، اغناطيوس بطريركاً . ولقد اخذ خصوم اغناطيوس فيما بعد هذا عليه واعتبروه عملاً مغايراً للقانون ( ص ١٣١ ) .

والظاهر ان في الظروف ما يوضح ان تيودورا قد قامت بعملها هذا من دون ان تراعي المراسيم التقليدية . وبدا ارتقاء اغناطيوس للسدَّة البطريركية كانتصار للمحافظين المتعنّتين . ولما كان اغناطيوس بعيداً عن التدخل في اي نزاع كان يجعل متردوس معارضاً للاستوديين فلم يكن باستطاعة انصار هذا الاخير ان يأبوا الخضوع له ، كما ان جميع الاساقفة قبلوا سيامته . ويلاحظ دفورنيك ان اغناطيوس افسد كل شيء بجرأته . فقد اعلم غريغوريوس اسبستاس بانه لا يريد ان يحضر حفلة تنصيبه الى ان تتضح قضيّته . فانسحب غريغوريوس حانقاً وضرب الشمعة التي كانت في يده بالارض وهو يصرخ قائلاً ان الكنيسة قد تسلّمها ذئبٌ ، فلحق به بعض الاكليريكيين من الذين كانوا يشهدون الحفلة ومن جملتهم بوجه اخص مطرانا ساردس « Sardis » واباميه « Apamée » بطرس واولمبيوس « Eulambios » . فوجّه الى روما شكواه عليهما.

ويقول نيستاس « Nicétas » نفسه ( واضع كتاب حياة اغناطيوس ) ان بادرة البطريرك هذه كانت باعثة على الاسف ، لانها حالت دون ايجاده الاتفاق بين الحزبين والاتحاد والسلام في كنيسته . فبات منذئذ مرذولاً ! ورأى نفسه مقضياً عليه بانتهاج سياسة المحافظين المتعنّتين الدينيّة ، وغدا يستطيع التعويل على مناصرتهم تعويلاً مطلقاً — فساق على نفسه كره الاحرار .

وعقّب دفورنيك ( ص ٥١—٦٧ ) على حادث اغناطيوس — اسبستاس بقوله انه كان اشد خطراً مما يظن عادة . واذا تردّدت روما وتريّثت قبل اعلان موقفها ، فلأن الاسباب التي عُزل بموجبها اسبستاس والاسقفان لم تكن من الخطورة بمكان يستحيل معها مناقشتها . اما حزب غريغوريوس فرفع دعواه الى روما كمحكمة عليا مستنداً الى قوانين سارديك « Sardique » ( ٣٤٢ ؟ ) التي تخوّلُ كل فريق حق الاستئناف اليها .

وهذا الحزب المعتبر عامة من الدّ اعداء البابوية كان يعمل في القسطنطينية ضد اغناطيوس ويشيع انه قد رفض رسالة احد البابوات — ولا تغرب عنا

رؤية هذه اللعبة – : فحتقروا في بيزنطية على روما ولكنهم كانوا يمتدون على سلطتها لمناهضة الخصوم .

ومهما يكن من امر فان هذه الحوادث توضح لنا النفوذ الذي تتمتع به كرسي روما في نفوس البيزنطيين . ومما تنبغي الاشارة اليه هو ان اغناطيوس لم تكن لديه الا فكرة غامضة كل الغموض عن موقف السدّة الرومانية وحقوقها في الكنيسة الجامعة اذ ان اول احتكاك له بالبابا يدلّ على ذلك ( ص ٦٨ ) .

وخطرت فكرة غريبة لاغناطيوس وهي ان يبعث بوشاح الى البابا كان الحبر الروماني هو الذي يبعث به الى البطاركة كرمز لتقلدهم السلطة فرفض الحبر الروماني رفضاً باتّاً قبول هديته هذه وارجعها اليه .

وجاء جهله للعادات التي تنبغي مراعاتها في مثل هذه الظروف برهاناً صريحاً على بساطة ذلك البطريرك . اما موقفه في استئناف قضية اسبستاس الى روما فيظهر لنا انه لم يكن يريد ان يراها تتدخل في الشؤون البيزنطية .

ومع هذا كله فانه لم يكن ينكر حقوق الكرسي الروماني ولكن لم يكن باستطاعته مع ذلك ان يقوم باعتراف هذا من دون ان يجلب على نفسه لوم الخصوم المشروع لانه لم يتقيد باحترام قوانين سارديك .

هذه هي الصورة التي كان عليها الصراع الاكليريكي الخطير .

وثمّ قضية اخرى ليست باقل خطورة لتسبب لاغناطيوس ارتباكات جديدة ( ص ٧٣ ) وهي ان برداس وتيوكتيست ما طال بهما الامر حتى دبّ الخلاف بينهما وكان لا بدّ لاحدهما من ان يختفي من وجه الآخر . فقام برداس اولاً بعمله وتواطأ سنة ٨٥٦ مع ميخائيل الثالث واغتال تيوكتيست – وتمكن خصومها بما لهم من مهارة من اقناع اغناطيوس بالانحياز ضد ميخائيل وبرداس . فنجم عن تحيّزه ان ابى على برداس ان يتناول القربان المقدس يوم عيد الغطاس بحجة انه كان مسافحاً – ويؤخذ من اقوال ذوي الالسنة السليطة ان برداس اعتدى على عفاف زوجة ابنه . اما دفورنيك فيقول انه من الصعب اقامة البرهان على هذا الامر .

ولقد تسرّع اغناطيوس في ايلائه ثقته للشائعات التي روجها الخصوم، اولئك

الخصوم الذين كانوا يتوخون ازالة نفوذ الوزير في نظر الرأي العام .

ولما كان اغناطيوس رجلا قديساً مستقيماً لكنه غير لبق وقليل الحذر فاستغلوا سذاجته وعدم خبرته في الشؤون السياسية الدينية بتلك البيئة التي غدا ابناؤها من مهرة المخاتلين المخادعين — فاعد برداس الاثار لنفسه . وفي سبيل ضمان وصوله الى السلطة قرّر ان يرسل شقيقته تيودورا وبنات شقيقـه الى الدير وطلب من اغناطيوس ان يبارك مئزر الامبراطورة فرفض البطريرك النزول على طلبه لانه كان مديناً بكل شيء للامبراطور فاراد ان يكون وفيّاً لهـا .

فرأى برداس في هذا الرفض برهاناً على ان اغناطيوس كان متضامناً مع خصوم العهد ( ص ٧٦ ) الذين حاولوا في مؤامرة دبّروها القضاء على حياته وحياة ميخائيل . ويبدو ان الامبراطورة السابقة نفسها قد اشتركت فيها . غير ان المكيدة قد اكتشفت في الوقت المناسب فاجتزت رؤوس المجرمين في ميدان السبق . ولقد ارتكب اغناطيوس الذي كان مشبوهاً ويراقبه رجال شرطة الامبراطورة قَدَامَةً[1] جديدة فقد دافع عن احدهم المدعو جيبون « Gébéon » الذي زعم نفسه انه ابن الامبراطورة فاثار ضجة كبرى في القسطنطينية وقُبض عليه واعدم بشكل بربري . فازدادت بسبب هذه البادرة الريب التي خالجت الصدور فاتهم اغناطيوس بالخيانة العظمى ونفي ( في اواخر تموز ٨٥٨ ) الى جزيرة تربنت ( Térébinthe ) واستدعي فوتيوس ليحلّ محله فقبل .

وهنا اثيرت مسألة خطيرة وهي : هل كان الكرسي البطريركي شاغراً ؟ ام ان اغناطيوس عُزل بالقوة . فاذا كان قد عزل جبراً فالجواب كلّا . اما اذا كان قد انتهى به الامر فقدم استقالته وان اسف عليها فالجواب نعم !

هذه هي المسألة التي ما برح الجواب عليها معلقاً واجتهد دفورنيك طويلاً لايجاد حلٍّ لها ( ص ٨٠ ) .

ويؤخذ من اقوال المؤرخين انهم قد استخدموا الحيلة لينتزعوا منه استقالته: فقد قدّموا له ورقة ليوقّعها « كتب عليها بعدئذ فوتيوس بخط يده اعتراف اغناطيوس المزعوم بعدم قانونية انتخابه » ( ص ٧٩ ) . هذه هي الرواية التي

١) القَدَم : قلة الفهم وهي جاء قَدامة وقد استخدمنا هذه الكلمة لترجمة لفظة « maladresse » الفرنسية .

ذكرها نيسيتاس التي تبعها المؤرّخون من بعده .

وبالاستناد الى قول دفورنيك انها رواية لا تستحق الثقة بها لانها اغفلت الاشارة الى حوادث عديدة كان نيسيتاس يعرفها بدون شك بيد انها لم تكن تماشي هدف روايته الذي رمى الى تثقيل كاهل فوتيوس بالتبعة والدفاع عن اغناطيوس – وتلخّص دفورنيك بعد مناقشة النصوص مناقشة طويلة (ص ٨٥): انه يؤخذ من اقوال متروفان الازميري « Métrophane de Smyrne » الذي روى هذه الحوادث لرجل رفيع المقام كان بمقدوره ان يحتق في هذه المعلومات المرويّة ان القضية تقدم على الشكل التالي : لقد اصرّ اغناطيوس طويلاً على رفضه تقديم استقالته، غير ان عدداً كبيراً من سراة القوم وحتى من الاساقفة المنتمين الى حزبه قد الحوا عليه ان يقدّم استقالته متذرّعين بطريقة الايكونوميا .

وان كبر سنّه ومصاعب الظروف القائمة تتطلب منه ان يستقيل. فانتهى به الامر بان نزل على رغباتهم . فرجا انصاره (ص٨٦) الذين كانوا يشجعونه على الاستمرار في مقاومته ان ينتخبوا بطريركاً آخر . فنزلوا عند وجهة نظره واكتفوا باتخاذ بعض الاحتياطات . من جملتها ان يُحسن خلفه معاملته وان لا يرهق انصاره .

ولكي يتفادى ( ص ٨٩) اغناطيوس عن الحاق اضرار جسيمة بكنيسته انتهى به الامر الى ان يستقيل وان كان ذلك على رغمه فارتقى فوتيوس سدّة كانت قانونياً شاغرة .

واردف دفورنيك قائلاً : لقد كانت الحكومة راغبة في رجل مستقيم وميّالة الى ان تعين بطريركاً من دون تأخير . فطالب الاساقفة ولاسيما انصار اغناطيوس بالحاح بالتقيّد بالحق القانوني وبعقد مجمع يقدّم ثلاثة مرشّحين فكان ما ارادوا .

وقبل الشروع بالانتخاب كانت ثمة قضية اخرى لا بد من ايجاد حلّ لها الا وهي قضية حرم اغناطيوس لغريغوريوس ابستاس (ص ٩٠ ) في احد المجامع السابقة .

ولقد احرز حزب الاحرار الذي كان رئيسه غريغوريوس الانتصار وبات بعد خلع اغناطيوس باستطاعة المجمع القائم ان ينقض ما عمله رجل آخر ولا سيا

وروما كانت لم تصدق بعد الحكم الصادر بحق غريغوريوس .

وبحضور الحزبين اللذين اتفقا وجاءا للشروع بانتخاب فوتيوس اعيدت الى اسبستاس واصدقائه حقوقها ومن ثم بوشر الانتخاب واتفق المقترعون على اسم فوتيوس الذي رضي عنه حتى اتباع اغناطيوس لانه « رجل جديد » « homo novus » وان كان من حزب الاحرار اذ لم تكن الفرصة قد اتيحت امامه بعد ليظهر صراحة لون حزبيته .

ولقد كان فوتيوس علمانياً ! وفي غضون اسبوع تلقّى جميع الدرجات الكهنوتية مما هو مخالف للحقوق القانونية . بيد ان المخالفات من هذا النوع لم تكن قليلة ( ص ٩٢ ) . فبولس الثالث ارتقى السدّة البطريركية سنة ٦٨٧ وتاريز « Taraise » عمّ فوتيوس سنة ٧٨٤ ونقفور « Nicéphore » سنة ٨٠٦ بالطريقة نفسها، وكلهم علمانيون ومن دون ان يعتري سلام الكنيسة سجس.

وفي يوم عيد الميلاد اقتبل فوتيوس درجة الاسقفية من يد غريغوريوس اسبستاس نفسه وقد ساعده اسقفان من اتباع اغناطيوس نجهل اسميهما . واول من اهتم له فوتيوس هو ان يقوم بمفاوضات مع اتباع اغناطيوس المتمردين للاتفاق معهم. فنجح في ذلك واتفقوا على كيفيّة معاملة اغناطيوس وانصاره ووقع ورقة سلّم نسخة عنها الى كل من المعارضين الخمسة الرئيسيّين. وبدا السلام كأنه قد استتبّ ولكنه من نكد الدهر لم يستمرّ الا قليلا ( ص ٩٦ – ١٠٨ ) لشدة نقمة انصار اغناطيوس ومكايدهم لا لتدخل اغناطيوس نفسه .

وظل الستوديون « Stoudion » مركز المعارضة وفضّل رئيسه نقولا ان يذهب الى المنفى يتبعه عدد كبير من رهبانه. اما ما بقي منهم (ص١١٠) فلم يتنكر لهم فوتيوس. اما الروايات المعارضة له فتحدثنا عن اضطهادات (ص١١٢) كابدوها بيد انه لا ينبغي لنا الّا ان نرى فيها تعبيراً عن استياء المؤرخين الذين اسخطتهم قوانين مجمع سنة ٨٦١ الذي عقده فوتيوس واتخذ فيه البطريرك الجديد تدابير شديدة الصرامة ليضع نظاماً لحياة الرهبان ولمساوئهم التي غدت موضوع قلاقل مستمرة .

( للمقال صلة )

# الاربعون حديثاً وشروحها العربية

بقلم الدكتور عبد القادر قره خان
استاذ الادب التركي القديم في كلية الاداب بجامعة استنبول

في الادب الاسلامي ضرب من الادب الديني التعليمي معروف باسم « الاحاديث الاربعون » له مكانة مرموقة جداً لاسباب شتّى .

فلو قُدِّر لنا التوفيق لنشر جميع تفاصيله التي بلغت درجة النضوج بعد تمحيص مئات المؤلفات من عربية وفارسية وتركية تعالج هذا الباب لكان في استطاعتنا تبيان الثروة الدينية وما لها من تأثير اجتماعي واخلاقي وسياسي وادبي في حقل ما برح حتى الان مجهولاً ولم يكتشف .

وفي مقالنا هذا سنقتصر كلامنا على بيان موجز اعمالنا التي تدور حول اشهر هذه الاحاديث واهمها واعني بذلك كتاب العلامة محي الدين ابي زكريا يحيى بن شرف النووي الفقيه الإسلامي الشهير ( ٦٣١–٦٧٦ / ١٢٣٣–١٢٧٧ ) وهو مجموعة احاديث واضحة ووجيزة من شأنها هداية الناس الى طريق الكمال بالايمان والافعال والاخلاق .

وجاء في المخطوطة المحفوظة بدار الكتب الوطنية بباريس ان الاربعين حديثاً كان الفراغ من كتابتها في ليلة ٢٢ كانون الثاني ١٢٧٠ [١] .

ومما يجدر النظر اليه هو ان هذه الاحاديث قد تناولها الشراح بعد انتشارها بأقل من ثلاثين عاماً بتعليقاتهم عليها التي بلغت باللغة العربية وحدها خمسين شرحاً في غضون خمسة قرون [٢] ونصف القرن وذلك بالنسبة الى ما كان لها من اهمية وشهرة .

وهذه المجموعة من الاحاديث التي لها عدة ترجمات وشروح بالفارسية [٣]

---

١) قال مؤلفه رحمه الله فرغت منه ليلة الخميس السابع والعشرين من جمادى الاولى سنة ثمان وستين وستمائة من الهجرة النبوية .
(Bib. Nationale, manuscrits arabes N° 744 fol. 16 b.).

٢) Cf. table chronologique des commentateurs de Nawawī, à la fin de l'article.

٣) Voir entre autres : سراج الطالبين ومنهاج الراغبين في شرح احاديث الاربعين d'Abū ʿAbd Allah Muḥammad al-Īdjī (Bib. Nat. Mss. persans N° 35) مجمع البحرين de Fasīḥ b. ʿAbd al-Kerim Niẓāmī (Turk-Islam Eserleri Müzesi N° 1684. Bib. de Fatih N° 783).

والتركية[١] يعتبرها المستشرقون كأثرة فريدة في بابها[٢] وقد ترجمت[٣] وعلق[٤] عليها باللغات الغربية .

ويخال الينا اننا نحسن صنعاً في تناولنا هذه القضية بالبحث :

فهل كان النووي هو اول جامع لها ؟ وهي بالحقيقة اثنان واربعون حديثاً قيل فيها انها «جوامع الكلم الأحمدية» ام ان غيره قد جمعها برمتها قبله او جمع قسماً منها فقط ؟

ولقد حفزنا للاقدام على هذه الدراسة الاستاذ لويس ماسينيون .

اجل ان المقارنات التي اقيمت على اساس «الاربعين» لابن ودعان بين بعض الكتب القديمة والاحاديث التي اختارها النووي لم تسفر عن نتيجة مرضية فلولا الفقرة التفسيرية في مقدمة كتاب «جامع العلوم والحكم في شرح اربعين حديثاً من جوامع الكلم»[٥] لابن رجب البغدادي شارح النووي الكبير [ زين الدين عبد الرحمن بن احمد المتوفى ٧٩٥/١٣٩٣ ] لما حصلنا على بعض المعلومات حول منشأ هذه القضية .

وقال النووي في مقدمته ان بعض العلماء قد جمعوا «أربعين» تتناول موضوعات شتى ولما تبينت ذلك رأيت من المناسب ان اجمع بنفسي اربعين حديثاً اهم منها مكتفياً بان يذكر بشأن المصادر التي اخذ عنها ما يلي : «وقد رأيت جمع اربعين اهم من هذا كله وهي اربعون حديثاً مشتملة على جميع ذلك وكل حديث منها قاعدة عظيمة من قواعد الدين قد وصفه العلماء بان مدار الاسلام عليه او هو نصف الاسلام او ثلثه او نحو ذلك . ثم التزم في هذه الاربعين ان

١) Voir entre autres : شرح الاربعين حديثا d'Ismāʿīl Hakkı Bursali, Istbl. 1287, 1313, 1317 ; Kirk Hadīs d'Aḥmed Naʿīm, Ist : 1343.

٢) Cf. D'Herbelot, *Bibliothèque Orientale du Dictonnaire Universel*. Paris 1781, I, 372 ; Goldziher, *Le Dogme et la loi de l'Islam*. (tr. Félix Arin), Paris 1920, pp. 15, 37 et ss., 252.

٣) En-Nawawi, *Les Quarante Hadīths* (Tr. G. Bousquet) Alger 1947.

٤) Dossiers du Centre Religieux d'Etudes Arabes (C. R. E. A.) Bikfaia, Liban. Commentaires de Nawawī, depuis la fin de 1949 (avec texte arabe, transcription et comm.).

٥) Bib. Millet - Hekimoğlu, Nº 197 (En réalité 50 hadis au lieu de 40, le commentateur ayant ajouté huit autres à ceux recueillis par Nawawī).

تكون صحيحة ومعظمها في صحيحي البخاري ومسلم[1] » .

ولقد عرض ابن رجب هذه المسألة بوضوح اذ وقف هذا الشارح في مقدمته عند الفقرة التي اعلن فيها النبي عليه السلام بقوله : « فُضلتُ على مَنْ قبلي بستٍ ولا فخر » . ومن ثم تعدى الى ذكر واحد من أمور تفضيله بالستة وقال : « اعطيت جوامع الكلم » وبعد ان اشار الى معنى ( جوامع الكلم ) في القرآن والسنة :

— « وقد جمع العلماء جموعاً من كلماته صلى الله عليه وسلّم الجامعة فصنف الحافظ ابو بكر السني كتاباً سماه الايجاز وجوامع الكلم من السنن المأثورة ، وجمع القاضي ابو عبدالله القضاعي من جوامع الكلم الوجيزة جزءاً سماه الشهاب في الحكم والآداب وصنّف على منواله قوم آخرون فزادوا على ما ذكره زيادة كثيرة واشار الخطابي في اول كتابه غريب الحديث الى يسير من الاحاديث الجامعة واملى الامام الحافظ ابو عمرو بن الصلاح مجلساً سماه الاحاديث الكلية جمع فيه الاحاديث الجوامع التي يقال ان مدار الدين عليها وما كان في معناها من الكلمات الجامعة الوجيزة فاشتمل مجلسه هذا على ستة وعشرين حديثاً ثم ان الفقيه الزاهد القدوة ابا زكريا يحيى النووي رحمة الله عليه اخذ هذه الاحاديث التي املاها ابن الصلاح وزاد عليها تمام اثنين واربعين حديثاً وسمّى كتابه بالاربعين التي جمعها وكثر حفظها ونفع الله بها ببركة نيّة جامعها وحسن قصده رحمه الله وقد تكرر سؤال جماعة من طلبة العلم والدين لتعليق شرح لهذه الاحاديث المشار اليها[2] » .

والظاهر كل الظهور ان ثمة علماء قد جمعوا قبل النووي مجموعات من اقوال النبي الجامعة الوجيزة منها : الايجاز لابي بكر السنّي والشهاب لابي عبدالله القضاعي « محمد بن سلامة المتوفى ٤٥٤/١٠٦٢ » والاحاديث لابي عمرو بن الصلاح ( تقي الدين عثمان بن عبد الرحمن ٥٧٧—٦٤٣/١١٨١—١٢٤٥ ) .

ويؤخذ من هذه الاقوال صراحة ان الاحاديث الاربعين المشار اليها مصدرها الاساسي هو أبو عمرو الذي ذكرناه .

(1 Nawawī, *Introduction. La traduction française de* Bousquet contient une table montrant, selon les indications même de ces quarante hadiths, les œuvres auxquelles ils sont empruntés (p. 48).

(2 *Introduction*, fol. 2a et b.

واذا لم نغفل ان هذا الفقيه الشافعي الكبير الذي اصله من شهرزور والذي كان متضلعاً كل التضلع بالتفسير والسنّة والادب قد تولى امر التدريس بدمشق والقدس وكان النووي يعيش في عصره بدمشق واتيح له ان يزور القدس فلا غرابة اذا رأينا هذا الاخير من اصحاب ابي عمرو ان لم يكن بالفعل فعلى الاقل قد انتمى اليه ادبياً.

وبهذا نستنبط سبب ترجيح النووي أحاديث ابن الصلاح الجامعة الوجيزة الستة والعشرين من رسالة « الأحاديث العلية » وإضافته لها ستة عشر حديثاً حتى بلغت اثنين وأربعين حديثاً وأطلق عليها ( اربعون حديثاً ) . وعلى كل ان الصعوبة التي تعترضنا فتقوم على ان تعرف ما هي الاحاديث التي جمعها ابن الصلاح من هذه الاربعين والاحاديث التي جمعها النووي ؟

ومهما يكن من امر فاننا لا نقوى على البتّ في هذه القضية إلى ان نحصل على نسخة من « الاحاديث العليّة » وعلى كل فان الاعتبارات التالية لا بدّ لها من ان تكون حتماً بحسب هذا التساوق الفكري :

١ — ان النووي قد استمدّ شيئاً كبيراً من غيره في كتابه وان لم يشر الى ذلك في مقدمته .

٢ — ان النووي مدين بشهرته الى كونه قد جمع احاديث كان يعتبرها العلماء من قبله بمدة طويلة بمثابة « اقوال جامعة وجيزة يستند اليها الدين» .

٣ — ان النووي قد عرف الوتر الحساس في هذه المسألة فأدمج في احاديثه الاربعين الاقوال الجامعة الوجيزة التي كانت كثيرة الرواج ويتداولها الناس منذ القرن الثاني للهجرة وكانوا لا يزالون شديدي الاهتمام لها في عصره .

اجل لقد احرز النووي هذه الشهرة التي لا سبيل لانكارها بسبب كتابه الذي شُرح منذ سبعة قرون ولم يفقد شيئاً من قيمته على مر الذريات المتعاقبة التي قرأته وحفظته عن ظاهر قلبها .

ولئن قلنا ما قلناه فلا مندوحة لنا عن الملاحظة ان النووي قد ذكر في مقدمته لمؤلفه الاربعين حديثاً عندما تكلم على عدد الكتب الكبيرة في هذا الموضوع اسم ثلاثة عشر مؤلفاً بحسب ترتيبه الخاص به :

١ — عبد الله بن المبارك ( المتوفى ١٨١ — ٧٩٧ )

٢ — عمر بن اسلم الطوسي ( المتوفى ٢٦٣ — ٨٥٦ )

| | | |
|---|---|---|
| ٣ – | حسن بن سفيان النسوي | ( المتوفى ٣٠٣ – ٩١٦ ) |
| ٤ – | ابو بكر الآجري | ( المتوفى ٣٣٠ – ٩٤٢ ) |
| ٥ – | أبو بكر محمد بن ابراهيم الاصفهاني | ( المتوفى ٤٦٦ – ١٠٧٤ ) |
| ٦ – | الدارقطني | ( المتوفى ٣٨٥ – ٩٩٥ ) |
| ٧ – | حاكم ابو عبد الله | ( المتوفى ٤٠٥ – ١٠١٥ ) |
| ٨ – | ابو نُعيم | ( المتوفى ٤٣٠ – ١٠٣٩ ) |
| ٩ – | ابو عبد الرحمن السلمي | ( المتوفى ٤٢٢ – ١٠٣١ ) |
| ١٠ – | ابو سعيد المالني | ( المتوفى ٤١٢ – ١٠٢١ ) |
| ١١ – | ابو عثمان الصابوني | ( المتوفى ٤٨١ – ١٠٨٩ ) |
| ١٢ – | عبد الله بن محمد الانصاري | ( المتوفى ٤٨١ – ١٠٨٩ ) |
| ١٣ – | ابو بكر البيهقي | ( المتوفى ٤٥٨ – ١٠٦٦ ) |

فهل كان النووي هو الذي ذكر هؤلاء المؤلفين وصنفهم بهذا الترتيب او انه استمدّ هذا الفهرست من غيره ؟

ان الامر المهم في مثل هذا المقام يستوجب منا ايضاحات اوفى وفي اعتقادنا ان النووي قد اخذ ما عدا اسماء الدارقطني والصابوني والانصاري اسماء العشرة الباقين عن ابي طاهر السلفي ( المتوفى ٥٧٦/١١٨٠ ) .

ولقد ذكر السلفي في مقدمة كتابه ( الاربعون البلدانية[1] *Bouldaniye* ) الفهرست ذاته للاسماء العشرة الذين دونوا الاحاديث الاربعين قبله

ويؤخذ من البحوث التي قمنا بها ان عدد الاحاديث الاربعين المدوّنة الى عهد النووي كان يبلغ عددها اربعة وخمسين كتاباً .

والذي يرجح لدينا الافتراض ان النووي استمد معارفه من السلفي إذ ذكر ثلاثة عشر مؤلفاً اورد منها السلفي قبله أسماء عشرة رجال منهم .

ولئن انتشرت الاحاديث الاربعون النووية وحفظت بسهولة فلكونها كانت تشتمل على امور عرفيّة وحذف منها كثيرٌ من الاسناد من جهة ، ومن جهة أخرى لكونها احتوت قواعد الدين الاساسية ومجموعة الصلوات فحرص على معرفتها الذين ارادوا ان يؤمنوا لانفسهم الحياة الثانية .

فالحديث القائل مثلاً : انما الاعمال بالنيّات[2] الذي هو في البخاري وفي

(١ Bib. Nat. Mss. arabes, N° 722.

(٢ Nawawi, 1er hadith.

عدد الاربعين هو الحديث الاول ، ويعدُّ من جملة اسمى المبادئ في الاسلام ويشتمل على قسم كبير من تعاليمه . والحديث القائل : « بني الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله وان محمداً عبده ورسوله واقامة الصلاة وايتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان»[1] يبين بوضوح الاسس التي بنى عليها الاسلام .

اما الحديثان « ان الحلال بين وان الحرام بين»[2] و« الدين النصيحة»[3] فبالاستطاعة اعتبارهما يحقق ركني الشريعة الاسلامية ، والحديثان « لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه»[4] و « البر حسن الخلق والاثم ما حاك في النفس وكرهت ان يطلع عليه الناس»[5] يختصران ايضاً المبادئ الاسلامية الصحيحة .

ولقد فضل الكثيرون من بين شراح النووي الذين ادركوا اهمية مجموعته ورغبوا بان يضعوا اربعين حديثاً ويشرحوها ان يكتفوا بالقيام بتفسير الاربعين النووية بعد ان بحثوا طويلاً متذرعين في سبيل تبرير تفضيلهم هذا بذرائع شبيهة بالاسباب التي اشرنا اليها .

وقال الشارح تاج الدين ابو حفص عمر بن علي الاسكندري (المتوفى ٧٣١/١٣٣٠ في شرحه « المنهاج المبين في شرح الاربعين »[6] انه عرف من جماعة من العلماء ان الاسلام يستند الى اربعة احاديث :

« فانه قد صح عن جماعة من العلماء ان مدار الاسلام على اربعة احاديث : حديث الاعمال بالنيات ، وحديث الحلال بين ، والحرام بين ، وحديث ازهد في الدنيا يحبك الله ، وحديث من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه »[7] .

وذكر الاسكندري وسعدالدين التفتازاني ( ٧٢٢-٧٩٢/١٣٢٢-١٣٩٠ ) نظم الشيخ ابي الحسن الطاهر – الذي اكتفى التفتازاني بان يطلق عليه نسبة الشافعي :

---

١) Nawawi, 3e hadith.
٢) Nawawi, 6e hadith.
٣) Nawawi, 7e hadith.
٤) Nawawi, 13e hadith.
٥) Nawawi, 27e hadith.
٦) Bib. de Bayazit No 906.
٧) Fol. 2a.

« عمدة الدين عندنا كلمات
اربع من كلام خير البرية
اتق الشبهات وازهد ودع
ما ليس يعنيك واعمان بنية »

وهذه الاحاديث الاربعة هي في كتاب النووي بالارقام التالية ٦،٢١،١٢،٣١

واذا اعتبرنا ان بقية اقوال النبي التي جمعها النووي هي حقاً هدى للمسلمين في الايمان والاعمال والحياة الاخلاقية ادركنا بسهولة مرمى مؤلفه وقيمته والسبب الذي كانت له من اجله الشروح العديدة لا في العربية فحسب بل بالفارسية والتركية وعرفنا مدى تأثيره في العالم الاسلامي .

ومما يجعل من هذه المجموعة كتاباً يمثل الفكر الاسلامي وقواعده الاخلاقية هو ما له من قيمة اجتماعية عالية ليتميز بها خاصة عن الاحاديث الاخرى التي تتناول موضوعات شتيتة .

وان الاحاديث الاربعين التي اختارها النووي قد شرحت مرات عديدة شرحاً خليقاً بما لها من شهرة واهمية .

ولقد اتبع النووي نفسه بباب[1] في ضبط « ما خفي من معانيها » اوضحه في مقدمته[2] فكان بذلك الشارح الاول لكتابه .

ولقد تمكنا من ان نبين من عهد ابي العباس الاشبيلي (المتوفى ١٢٩٩/٦٩٩) الى عبدالله النبراوي ( المتوفى ١٨٣٩/١٢٥٥ ) اسماء تسعة واربعين مؤلفاً دونوا شرح النووي ، وسنذكر فيما يلي بحسب تاريخ العصور فهرست اسماء المعروفين وتاريخ وفاتهم وهم من جملة الواحد والاربعين شارحاً :

### فهرست اسماء شراح النووي من القرن الثالث عشر (السابع الهجري)

| | |
|---|---|
| النووي نفسه | ( ٦٣١ – ٦٧٦ / ١٢٣٣ – ١٢٧٤ ) |
| ابو العباس الاشبيلي | ( المتوفي ٦٩٩ – ١٢٩٩ ) |

### القرن الرابع عشر ( الثامن الهجري )

| | |
|---|---|
| ابن دقيق العيد | ( المتوفى ٧٠٢–١٣٠٢ ) |
| نجم الدين سليمان | ( المتوفى ٧٢١–١٣٢١ ) |

1) Ce chapitre est généralement négligé dans les commentaires.

2) Vers la fin de l'introduction.

احمد بن عبد الوهاب ( المتوفى ٧٣٠–١٣٣٠ )
تاج الدين ابو حفص ( المتوفى ٧٣١–١٣٣٠ )
محمد بن احمد السمردي ( المكتوب ٧٨٨–١٣٨٦ )
زين الدين صاريجا ( المتوفى ٧٨٨–١٣٨٦ )
سعد الدين التفتازاني ( ٧٢٢–٧٩٢ / ١٣٢٢–١٣٩٠ )
ابن رجب البغدادي ( المتوفى ٧٩٥–١٣٩٣ )

## القرن الخامس عشر ( التاسع الهجري )

السمودي ابو عبدالله ( المتوفى ٨٠٣–١٤٠١ )
جمال الدين يوسف ( المتوفى ٨٠٤–١٤٠٢ )
سراج الدين عمر ( المتوفى ٨٠٤–١٤٠٢ )
ظهير الدين المصري ( المكتوب ٨١٢ – ١٤٠٩ )
عز الدين بن جماعة ( المتوفى ٨١٩–١٤١٦ )
خجندي Hücandi ابراهيم ( المتوفى ٨٥١–١٤٤٧ )
ابو حفص البلبيسي ( المتوفى ٨٥٥–١٤٥١ )
صلاح الدين محمد ( المتوفى ٨٥٦–١٤٥٢ )
بدر الدين الجيلاني ( المتوفى ٨٨٩–١٤٨٩ )

## القرن السادس عشر ( العاشر الهجري )

معين الدين بن صفي الدين ( المتوفى ٩٠٥–١٥٠٠ )
الحجازي محمد بن العز ( المكتوب ٩١٢–١٥٠٦ )
زكريا الانصاري ( المتوفى ٩٢٦–١٥٢٠ )
ابن كمال باشا ( المتوفى ٩٤٠–١٥٣٤ )
دالجي محمد ( المتوفى ٩٤٤–١٥٤٠ )
الهيتمي شهاب الدين ( المتوفى ٩٧٣–١٥٦٦ )
الفشني احمد بن الحجازي ( المتوفى ٩٧٨–١٥٧٠ )
اللاري مصلح الدين ( المتوفى ٩٧٩–١٥٧١ )

## القرن السابع عشر ( الحادي عشر الهجري )

علي القاري ( المتوفى ١٠١٤–١٦٠٦ )
الشبرخيتي ابراهيم ( المتوفى ١٠١٦–١٦٠٧ )
الشبشيري ولي الدين ( المتوفى ١٠١٩–١٦١٠ )
المناوي عبد الرؤوف ( المتوفى ١٠٣١–١٦٢١ )

| | |
|---|---|
| محمد بن احمد الخطيب | ( المتوفى ١٠٨٩–١٦٧٨ ) |
| بازيجي اسماعيل بن عبد الباقي | ( المكتوب ١١١٠–١٦٩٩ ) |

## القرن الثامن عشر ( القرن الثاني عشر الهجري )

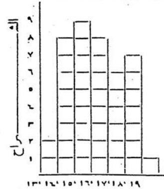
| | |
|---|---|
| السندي محمد بن الحياط | ( المتوفى ١١٦٣–١٧٥٠ ) |
| حسن بن علي المدابغي | ( المتوفى ١١٧٠–١٧٥٦ ) |
| الحسني احمد بن محمد | ( المتوفى ١١٧٨–١٧٦٤ ) |
| ابن سودة البناني | ( المتوفى ١١٩٤–١٧٨٠ ) |
| المضيري خليل | ( المتوفى ١٠٨٦–١٧٨٢ ) |
| وجيه الدين بن نجيب الله | ( المكتوب ١٢١٢–١٧٩٧ ) |
| محمد بن احمد | ( المتوفى ١٢١٣–١٧٩٨ ) |

## القرن التاسع عشر ( الثالث عشر الهجري )

| | |
|---|---|
| النبراوي عبد الله | ( المتوفى ١٢٥٥–١٨٣٩ ) |

ولا يخلو من الفائدة ان نوضح العصور بخطوط بيانية :

### كيفية توزيع الشراح بحسب العصور التي عاشوا فيها




العصور

وهناك اسماء الشراح الذين عاشوا في عصور لم يكن باستطاعتنا تعينها

١ – عبد المجيد الشرنوي

٢ – علاء الدين علي بن محمد

٣ – هاشم الشرقاوي

٤ – مسعود بن منصور بن الامير سيف الدين
٥ – محمد بن احمد الحنفي
٦ – الصفوي احمد بن موسى
٧ – الشطيري عبد الهادي
٨ – الشيرازي شهاب احمد بن محمد

وغالب الاحتمال ان يكون عدد شراح النووي اكثر مما ذكرنا ومن النظر في فهرست اسماء الذين شرحوا النووي يتضح لنا ان معظم اولئك الرجال كانوا من رجال العلم الديني ومنهم من كان يعتبره العلماء المسلمون الاتراك كثقات كابن دقيق العيد وسعد الدين التفتازاني وابن رجب البغدادي وابن كمال باشا، وابن حجر الهيتمي ومصلح الدين اللاري وعلي القاري وعبد الرؤوف المناوي مثلاً . ولقد ذيلت تلك الكتب بهوامش شرحية كالتي علقها محمد بن احمد الخطيب وحواشي المدابغي على كتاب الهيتمي وكهامشي الحضيري والنبراوي على الشبشيري .

ولو اخذنا بعين الاعتبار اعادة طبع الفشني ست مرات[1] وشرحي الشبرخيتي[2] والتفتازاني[3] ثلاث مرات وطبع شروح كتب الباقين مرتين ولو عرفنا ان عدد مخطوطات الاربعين حديثاً يبلغ مئات النسخ في مكتبات استنبول وحدها لزال كل ريب لدينا فيما كان لتلك المجموعات من قيمة ولما احدثته من أثر في الشعب والعلماء وفي ذلك الاسلوب الذي سدّ قروناً متطاولة الحاجات الدينية والاجتماعية والاخلاقية لدى الشعوب الاسلامية

---

(١ Le Caire 1278, 1299, 1303, 1306, 1310 et 1311.
(٢ Le Caire 1307, 1316 et dernièrement.
(٣ Istanbul 1316, 1323 et le Caire.

# هل علم الاخلاق مستقل عن السياسة ؟

بقلم الاب فيلكس سوانيون اليسوعي

لا تقوم القضية التي تسمّى بقضية «الاكسيون فرانسيز» على التعليم الذي شجبته الكنيسة ونشره واذاعه جماعة من غير المؤمنين وان كانوا من ذوي النفوذ الواسع لان مثل هذا الامر مألوف في الكنيسة ولان من مهمة ربان السفينة بطرس التنبيه الى نواتئ الصخور البحرية التي تعترض سير السفينة ليكبح جماحها .

والذي جعل من هذه القضية قضية باعثة على الاسى هو كون طائفة من ركاب السفينة وبحارتها قد انتقدوا هذا العمل وابوا الانصياع لتنفيذه .

ومن دون ان نلجأ الى المجاز والكنايات نقول ان هذه الطائفة قد ثابرت على اعتبار التعليم الذي نبذته الكنيسة تعليماً صحيحاً واستمرّت تفضّل ادارة الزعماء الغرباء على ادارة معلم الكنيسة .

لقد رأت في التطاول على الكرسي الرسولي والاهانات الموجهة اليه كثيراً من التسامح .

وقد اوقف بعض الكهنة ورجال الدين بادرة الطاعــة التي ابدّاها بعض المؤمنين ليساعدوهم على التمرّد .

اجل ان تمرّداً على هذه الشاكلة لم نشهد له نظيراً في حضن الكنيسة منذ انتقاض اشياع جانسنيوس فكيف اصبح ممكناً في عصرنا هذا ؟

لقد كان في اساس هذا التمرد خطل سابق ليوضح ولو على الاقل هــذا التمرد ايضاحاً جزئياً لان عوامله بعيدة عن حيز المعقولات .

ولا شكّ في ان البشر مفتقرون الى اغداق قناع على هفواتهم ومساعيهم الاثيمة يستمدونه من ادعاءات موهومة ليسبغوا عليها في اعينهم وأعين غيرهم اصبغة تلوّنها .

ولئن ركنوا الى هذه «الحقيقة الاولية» فتركوها غامضة ، وتكلّفوا عنها

مرات كأمر لا يُجادل ، فما علينا الا ان نخرجهـا من حيز الظلام لنطالب بمستنداتها ، واليك ذرائعهم :

« بماذا يتدخل البابا ؟ ان الموراسيـة ( فكرة شارل موراس ) هي رأي سياسي خارج عن صلاحية معلم الكنيسة ، و « الاكسيون فرانسيز » ليس الا حزباً سياسياً ، فكيف تشجبه روما ؟ ولمصلحة من ؟

لقد عمل موراس منذ وقت طويل على خلق هذا الاقتناع ليجعل نفسه في مأمن من تدخل السلطة الدينية .

ففي سنة ١٩٢١ كتب في مؤلفه « السياسة الدينية » ( ص ٢٤٥ وما يليها وصفحة ٩٨ ) : « ان الاعمال الاجتماعية تخرج بجوهرها عن ان تكون من طائفة الحق والواجب، اذ لا دخل لها بإراداتنا » ، « فالوجدان الانساني يرمي الى غايات روحية ويبحث عن ايجاد السلامة الفردية » (Mes idées politiques, 34ème édition page, 124 sq) على حين ان السياسة نفسها تهتم للامور الزمنية والاجتماعية وتستند الى علم الحياة والاختبار ( ibid p.96 ) فقوانينها ضرورية ضرورة قوانين علم الحياة .

وزعم موراس ان لا فكرة له حول علمي ما وراء الطبيعة والاخلاق لانه، كما يزعم، لم يصادف وضوحاً فيهما ( Cf. L. A.F. et la Religion Catholique p. 97 ) ونجح في اقناع اتباعه بذلك .

فسياسة موراس لم تكن اذاً ترتبط بأي منهج فلسفي كان ، وما تأكيده استحالة وجود اي علم كان لما وراء الطبيعة الا من باب علم ما وراء الطبيعة نفسه ، الذي لم يكن الكنت علم غيره ، وانه لم يتفق لاحد ان ابتدع ضلالاً اشد من ضلاله وابعث منه على الاسى !

أفلم يكن من تأثير على سياسته لانكاره علم ما وراء الطبيعة وتجرده بعلم الاخلاق ولتجرده حتى عن معنى الاخلاقيات ؟ اجل لقد كان ثمة لاهوتيون ليقيموا البرهان الساطع على صحة زعمه . ففي سنة ١٩٢٩ ( بعد الحكم عليه من السلطة الكنسية العليا ) وفي مجلة معروفة وبتوقيع استاذ معروف صدرت مقالة ملأت قلوب الموراسيين حبوراً وزعزعت الايمان في قلوب الكاثوليك الذين كانت لديهم فكرة في تلك المسألة .

ومما قالوه في هذا الصدد : لقد تبدّل علم الاخلاق كل التبديل منذ عهد القديس توما وتبدّل ارتباطه بغاية سامية لينفصل عن كل علم آخر ولا سيما عن علم السياسة ، فعلم الاخلاق الذي يهدف الى غاية ازلية لا يشتمل على علم السياسة المختص بالامور الزمنية،لان هذا الاخير هو علم المنافع،اما علم الاخلاق المدني فيعنى باستقامة السلوك . على حين ان الاول هو الذي يُعنى مباشرة بمصلحة المجتمع الانساني الخاصة وهو الامة . اما القواعد العامة فتتعلق بالعلم السياسي واما السلطة الرسولية ففردية[1] .

فبالاستناد الى وضح العقل فقط يسعنا الاقتناع بخطإ القول ان السياسة مستقلة عن علم الاخلاق .

اجل ان الوحي لم يبدّل طبيعة الانسان ، وانما اشفى ما كان مفتقرًا الى الشفاء واصلحه، وفرض غاية سمّيا جديدة هي في امتداد الاولى ولا تتغيّر عنها.

وفي سبيل احقاق المسيحي الكامل والسير به في طريق السعادة الازلية ليتمتع بالمشاهدة الطوباوية لا بدّ له من الاكتمال .

وهذه القضية التي تجاهلتها البروتستنتية والجانسنية تستند الى تعليم الكنيسة التقليدي والفلسفة المدرسية مما ينجم عنه ان خاصة اعمال الانسان التي تنطبق على قاعدة السلوك المثلى لم تتبدّل ، وان علم الانجيل للاخلاق قد اتمّ علم الاخلاق العقلي برمّته ورسم دائمًا الهدف نفسه واختط قاعدة كل الافعال البشرية بصفة كونها منبثقة من الارادة الحرة وينبغي لها ان تهدف الى السعادة الارضية غير الكاملة التابعة للسعادة الابدية .

فما هي اذًا علاقة هذا العلم الاخلاقي العقلي بالسياسة ؟

علينا ان نحدّد اولًا معنى العبارة الاخيرة لانها غامضة .

ان الكلام في مثل هـذا المقام يتناول « اولًا » علم الحكم النظري والعملي و « ثانياً » عمل الرؤساء. وفقاً لهذا العلم ؛ بيد ان السياسة تفرض علم اجتماع نظريًا ومفهوماً للمجتمع ولغايته الاخيرة والمدنية .

ومن بين العوامل التي تؤلف الكائن الاجتماعي والخير الاجتماعي عوامل لا تتعلق بالارادات الانسانية او على الاقل بالارادات القائمة : كالعوامل العرقيّة

١) حاول موراس في مقال سابق التنصّل من موقفه وانما جاء عمله بعد فوات الاوان .

والجغرافية والاحصائية والتاريخية. وان كان ثمة بعض تطورات لا سبيل للوقوف بوجهها ومقاومتها ، لان العالم قد سار وراء الاستقطاب الصناعي والديموقراطية، وهذا هو اثر الجبرية .

ولئن انحصرت كل الحياة الاجتماعية بهذا الامر فلن يبقى مجال للتحدث عن علم اخلاق اجتماعي ولا عن حقوق الرؤساء وواجباتهم ؟ مع اننا نرى رجال السياسة يتصرّفون عملياً كأنهم مقتنعون بان في مقدورهم التدخّل بحرية في ادارة القوى المشتركة او المتضاربة في هذه الحياة الاجتماعية ليحدثوا في جريانها تحوّلات مهمة ومن دون ان يصرفوا النظر عن نواميس الطبيعة .

وفي الواقع ثمة اوقات تستطيع فيها ارادة الانسان الحرة ان تحوّل مجرى تطورات شتّى كلها ممكنة على حدّ سواء .

بله ان هذا الامر لصحيح في كل مراحل تسيير الشؤون ولا كان التاريخ جرى على غير ما جرى عليه وان كان بالاستطاعة ايجاد تداعٍ حتمي بالظاهر لحوادثه.

نعم ثمة في الحياة الاجتماعية ضرب من الجبرية وضرب من الحرية الانسانية لا يستوي احدهما الى جنب الآخر، وانما يندمج بعضها ببعض ويجد احدهما الآخر ، فالارادات لا تستطيع اتيان كل شيء. وانما في كل ما يحدث شيء من الارادة.

وينبغي للمبادئ التي يفرضها العلم السياسي وقواعده الخاصة ان ترمي الى تحقيق مصير الافراد والمجتمع وان تسيّرهما نحو الكمال والسعادة الانسانية الارضية.

ان « هذا الخير العام ... لا يحتوي فقط على الازدهار الاقتصادي بل يتجاوزه» « Lettre du Cardinal Pacelli à M. Duthoit à l'occasion de la Semaine Sociale de 1933 ». فهو يشتمل خاصة على خير النفس .

.( Cf. Léon XIII, Encyclique « Libertas » du 20-6-1888, Bonne-Presse, tome 2, p. 190 ).

Encycl. Rappresentanti du 31-12-1929, Bonne-Presse, p. 18, et lettre au clergé français de Léon XIII du 16-2-1892, Bonne-Presse, tome 3 des Œuvres de Léon XIII, p. 113 ).

ومن واجب العمل السياسي وعلى قدر ما تنتفي الجبرية ان يهدف الى هذه الغاية التي باتجاهه نحوها يتوجه نحو الغاية الفائقة للطبيعة ويعززها تعزيزاً غير مباشر وان كانت لا تتكافأ معها لتقودنا اليها

« Bonum secundarium verum est ordinabile ad principale bonum (quod est Dei fruitio) secus est apparens et abducit a finali bono. » St. Thomas II. II. q. 23, a 7

ان اسمى القيم واسماها التي بمقدور الجماعة وحدها تحقيقها هي ايضاً قد ارادها الخالق في سبيل الانسان وسبيل ازدهاره الكامل الطبيعي والفائق للطبيعة لانجاز كماله .

(Pie XI, dans l'Encycl. Mit Brennender Sorge du 14 mars 1937(édition de la Bonne-Presse p.22 )

فالمبادئ والقواعد والاعمال السياسية اما ان تكون ذات قيمة حسنة او غير حسنة .

وقد يحوي علم الاجتماع او بعض النظريات السياسية شيئاً من علم ما وراء الطبيعة والاخلاق او يكون خالياً من علم الاخلاق ويكون هذا كله مناقضاً للعقل او نافياً للايمان المسيحي . اما علم الاخلاق الصحيح فيحكم على السياسة لا في تفاصيلها الفنية وانما ليسدّد مبادئها ويعيّن حدود عملها .

ولئن كان علم الاخلاق العقلي يحكم على السياسة فالكنيسة بما لها من سلطان تعليمي وتنظيمي مباشر فتحكم بشأن السياسة .

ولقد طالبت باصرار روما عدة مرات بهذا الحق ، وجاء في رسالة بيوس الحادي عشر الى الكاردينال اندريو في ٥ ايلول سنة ١٩٢٦ : لقد عددت نيافتكم وشجبت بحق... ظاهرات طريقة دينية جديدة... ولا سيما بشأن علاقات هذه الظاهرات بالسياسة التي هي تابعة منطقياً لعلم الاخلاق (A.A.S. 1926, p.382) . ومن ثم جاء في رسالته الرعائية سنة ١٩٣١ (Quadragésimo anno édition Spes, pp. 190, 191) : لا تستطيع الكنيسة التنازل عن المهمة التي اناطها الله بها لتدخل – طبعاً في غير النطاق الفني – في كل امر يتصل بعلم الاخلاق ... ان الامانة التي تقع على عاتقنا من العلى لنسن القانون الاخلاقي ونفسّره ونبشر به تخضع لسلطاننا النظامين الاجتماعي والاقتصادي .

وقد بسط في الرسالة التي اذاعها بيوس الثاني عشر بالراديو في ٢٣ اذار سنة ١٩٥٢ بمناسبة « يوم العيال » في ايطاليا :

( En italien dans les A. A. S., en français dans la Documentation Catholique du 24 avril, col. 455).

اولاً نظرية استقلال السياسة ...» يقولون ان السياسة والاقتصاد انهما لا يفتقران الى الاسترشاد بغيرهما من العلوم حتى ولا بعلم الاخلاق ليهتديا بقوانينهما الخاصة التي بوصفها قوانينها هي صحيحة وعادلة ... ان الامر ليس الا طرازاً دقيقاً كما ترى لتملص الوجدان من سلطان القوانين الاخلاقية .

ولا نستطيع بالحقيقة انكار ضروب هذا الاستقلال الذاتي بصفة كونه يعرب عن الاسلوب الخاص بكل عمل وعن الحدود التي تفصل نظرياً بين مختلف اشكال العمل، بيد ان الواجب يقضي بأن لا يعني انفصال الاساليب بعضها عن بعض ان العالم والفنان والسياسي قد اصبحوا غير مقيدين بالذرائع الاخلاقية في ممارستهم مهامهم اذا ما اعترضتهم في الحقل الاخلاقي حوادث مباشرة كالفن والسياسة والاقتصاد .

ولا معنى للانفصال صراحة ونظرياً في الحياة التي هي مركب، بسبب كون الموضوع الوحيد لكل ضرب من ضروب العمل هو الانسان ذاته الذي لا تقوى افعاله الحرة والواعية على التملص من تقديرها تقديراً اخلاقياً .

ولو استمررنا في النظر الى المفضلة نظراً واسعاً عملياً قد يعوز احياناً بعض الفلاسفة وان كانوا من المشهورين، «ان اللبيب من الاشارة يفهم»، فان ضروب هذا التمييز والاستقلال الذاتي ولاسيما لدى الانسان ذي الطبيعة الساقطة تمثل ما يماشي الهوى والاثرة «الانانية» والحرص كقوانين للفن والسياسة والاقتصاد ».

ولقد مارس بيوس الحادي عشر حقه هذا بالاشراف في ٢٩ حزيران ١٩٣١ عندما شجب « عبادة الدولة » الفاشستية ، وفي ١٤ اذار ١٩٣٧ عندما حث الكاثوليك الالمان على مناهضة مزاعم النازية . وفي سنة ١٩٢٦ عندما اعلنها قبل ذلك حرباً شعواء على موراس وكانت لديه ذرائعه المحقّة التي ينبغي لنا ان نشكره عليها كاحسان . اما ضروب الضلال اذا ما تناولها قلم كاتب افرنسي فتصبح انقع سمّاً واجسم خطراً ، وان « عقد هوبس الاجتماعي » لم يكن ليتخطى تخوم البلاد الانكليزية لولا روسو . فجاب معه العالم .

## اخبار العالم

### اخبار دينية

بولونيا : في ٢٢ ايلول اوقفت الحكومة البولونية الشيوعية نيافة الكردينال فيزنسكي رئيس اساقفة فرسوفيا ونقلته الى محل مجهول . اما ذنب الكردينال ازاءها فهو صموده في مطالبة الحرية للكنيسة وتمسكه وتمسك البولونيين معه رعاة وشعباً بالكرسي الرسولي . وما التهم التي اضحوه بها الا محض افتراء واكاذيب شنيعة .

ان عمل الحكومة البولونية هذا قد اثار سخط العالم الكاثوليكي باسره فأرسلت الى روما من كل الجهات من الاكليريكيين والعلمانيين اعتراضات شديدة وبرقيات عنيفة عديدة تحتج وتستنكر وتعلن مشاركتها للاب الاقدس في تألمه لاضطهاد ابنائه من سبب تعلقهم بالكنيسة وبرئيسها الشرعي .

في هذه المناسبة نلاحظ الاوسرفاتوري رومانو بان عدد رعاة الكنيسة الذين مُنعوا من القيام بمهام ابرشياتهم الروحية وابعدوا عنها او زجوا في السجون يزداد من يوم الى يوم وان نفي الكردينال وكفّ يده عن كل عمل رعائي هو اضطهاد يشرّف الارجوان الكرديناللي وقد اضطُهد قبله كذلك الكردينال ميدزنتي والسيدان بران وغروكزي اساقفة بلغاريا ورومانيا واوكرانيا الذين تحملوا عذاب السجون والمنفى ثم اساقفة الباتيا الذين ختموا بدمهم شهادتهم للمسيح ولكنيسته .

منذ سنة ١٩٤٥ الى اليوم قد زاد عدد الكهنة الذين زجّوا في سجون بولونيا على الالف وقتل منهم ستمئة وسبعون .

نذكر بنوع خصوصي من بين رسائل الاحتجاج التي وجهت الى حكومة بولونيا على اعتقال الكردينال فيزنسكي رسالة وقعها مئتان وخمسون نائباً افرنسياً سلمت الى سفير بولونيا في باريس . هذا نصها : ان النواب الفرنسيين الموقعين قد تأثروا جداً لتوقيف الكردينال فيزنسكي دون مبرر وقد سبقه توقيف غيره من رعاة الكنيسة السيدين الكردينالين ميدزنتي وستابيناك لذلك هم يحتجون بشدة على اللجوء الى هذه المعاملات التي لا تليق ببلاد متمدنة ويطالبون الحكومة البولونية بان تنهي اعتقالاً هو تعدٍّ فظيع على حرية التفكير التي يهم كل بلد ديمقراطي ان يحميها .

روسيا : موقف الحكومة الشيوعية ازاء الديانة المسيحية .

رغماً عما ابدته الكنيسة الروسية الارثوذكسية والبطريرك الكسي من عطف ومودة نحو السلطة الحاكمة في فرصة موت ستالين لا نجد بعد دليلاً على تبدل الحالة بينها فانها بقيت على ما كانت محض تسامح متبادل وتجاهل . وهذه الحالة ترتكز من جهة الحكومة على النقاط الآتية :

اولاً : طالما الحالة الدولية هي باقية على توترها الكف وقتياً عن مناجزة الكنيسة الاورثوذكسية علناً .

ثانياً : المثابرة على تأييد اللادينية النظرية والعملية بين اعضاء الحزب الشيوعي وفي الشبيبة المنتمية اليه ومنع اعضاء الحزب المسجلة اسماؤهم عن الايمان بالله وممارسة اي دين كان .

ثالثاً : السعي في ايجاد وسائل اكثر فاعلية لازدياد اللادينية في الشعب ببث التعاليم الماركسية بواسطة الكتب المدرسية والسينما والمحاضرات العلمية العمومية .

رابعاً : التشدد في مقاومة الكنيسة الكاثوليكية الصامدة امام الشيوعية لا فقط في روسيا لكن ايضاً في شتى الحكومات الشعبية وفي الصين وفي البلاد الرأسمالية نفسها باتهامها بالتعاهد ضد الشعب مع الرأسمالية واعداد حرب عالمية ثالثة .

خامساً : في هذا العراك مع الكنيسة الكاثوليكية الاعتماد على الكنائس الاورثوذكسية في روسيا ورومانيا وبلغاريا وبولونيا وتشيكوسلوفاكيا .

— اما هذا التساهل الحالي مع الكنيسة الاورثوذكسية فلا يمكن ان يكون الا وقتياً فان الفلسفة الماركسية لا ترضى بالتسامح في قضية الدين لانها تستند على انكار الله وعليه رتعمد بنيان عالمها الجديد فانها تدعو الطبقة العاملة لا الى مقاتلة الطبقة المتنعمة وحسب بل ايضاً الى محاربة كل دين وكل ذي دين .

روما — اعلان السنة المريمية : بمناسبة الذكرى المئوية لتحديد عقيدة الحبل بلا دنس اصدر الاب الاقدس البابا بيوس الثاني عشر رسالة جامعة تبدأ بهاتين الكلمتين : « اكليل ساطع »[1] فيها يعلن سنة مريمية تبدأ في اليوم الثامن من كانون الاول المقبل وتنتهي في اليوم عينه من سنة ١٩٥٤ يوم عيد الحبل بمريم البريء من الدنس : يتمنى الاب الاقدس ان يجعل المسيحيون هذه السنة المكرسة للعذراء سنة تضرعات حارة غزيرة وسنة زيارات احتفالية عديدة الى معابدها . وقد منح غفرانات كثيرة في هذه المناسبة .

روما — الجامعة الغريغورية : من ١٣ الى ٢٠ من تشرين الاول احتفلت الجامعة بالذكرى المئوية الرابعة لتأسيسها . انشأ القديس اغناتيوس دي لويولا الكلية الرومانية سنة ١٥٥١ لكنها لم تبدأ بالقاء الدروس الفلسفية واللاهوتية وتُعتبر جامعة الا سنة ١٥٥٣ . يبلغ اليوم عدد دارسيها الاكليريكيين الفين وثلاثمئة وثمانية وثمانين ينتسبون الى ثماني وخمسين امة والى خمسمئة ابرشية .

ومما اشتمل عليه برامج الاحتفالات المئوية الرابعة مؤتمر علمي ألقي فيه سلسلة محاضرات لمعاهد اللاهوت والحق القانوني والفلسفة والتاريخ الكنسي والرسالات .

تفخر الجامعة الغريغورية بانها تَعُدّ بين متخرجيها القدماء ستة قديسين وثلاثين طوباوياً وثلاثة عشر من الباباوات .

## اخبار عالمية

ايران : في غرة شهر تشرين الثاني الحالي بدأت محاكمة الدكتور مصادق « المُحتضَر » الذي لا ينيه تعب . وهي محاكمة فريدة بنوعها مهمة في اهتماماتها وربما ايضاً بعواقبها . من

(1 « Fulgens Corona »

أعقم التهم الموجهة الى مصادق اثنتان : الاولى انه رفض الخضوع لامر الشاه الذي عزله من منصب رئاسة الوزارة . والثانية انه هم بكل جهده في قلب الحكم القائم في ايران بغية تسلمه السلطة الاولى فيه .

ايران بلاد تبلغ مساحتها ثلاث مرات مساحة فرنسا يقطنها سبعة عشر مليونًا من السكان . وهم باغلبيتهم اسلام شيعيون وعدد المسيحيين فيها مئة وخمسون الفًا .

البلاد العربية واسرائيل : منذ توقيع الهدنة الى اليوم لم تزل قائمة على حدود الدول العربية واسرائيل مناوشات ومصادمات عنيفة وقد باتت مؤخرًا اشدها .

في الليلة الواقعة بين ١٤ و ١٥ تشرين الاول تجاوزت نصف كتيبة من الجيش الاسرائيلي بعتادها الكامل حدود عمان واغارت على قرية قبية فدمرت فيها واحدا واربعين مسكنًا وقتلت اكثر من خمسين شخصًا وجرحت خمسة عشر . وقد انكرت لجنة الهدنة المشتركة هذا الاعتداء الوحشي فاعترى واشنطن القلق وثارت في انكلترا المخاوف لوجود معاهدة ١٩٤٨ معاهدة « سلام دائم وصداقة ابدية » بينها وبين عمان .

المملكة السعودية : في ٩ تشرين الثاني الجاري تُوفي الملك عبد العزيز بن سعود بعد مرض طال امده فخلفه ابنه البكر الامير سعود وتعيّن وليًا للعهد الامير فيصل احد انجال المتوفى وكان وزير خارجية المملكة السعودية .

فرنسا : ثارت في الرأي العام والجرائد وخصوصًا في المجلس الوطني مجادلات شديدة بخصوص « الاسرة الدفاعية الاوروبية » وتوحيد جيوشها . برفض اخصام المشروع ايجاد جيش الماني قوي يصبح يومًا خطرًا عظيمًا على السلم وعلى سلامة فرنسا : خصوصًا يوم ينطلق الجيش الاميركي من اوروبا . اما امير كا فتظهر متمسكة بتحقيق المشروع خوفًا من بقاء المانيا ازاء الاتحاد السوفياتي غير قادرة على الدفاع عن نفسها لكنها رغما عن ذلك قد كذّبت مؤخرًا انها تهددت فرنسا اذا صمت على رفض المشروع بانشاء جيش الماني قوي خارجًا عن اسرة الدفاع الاوروبي .

تريستا : في ٨ تشرين الاول اعلنت الحكومتان الانكليزية والاميركية عزمها على سحب جيوشها من مقاطعة « الف » وتسليم المقاطعة الى ايتاليا فقامت قيامة تيتو واحتج وتهدد وتحركت جيوشه قاصدة الحدود . فاستفادت الحكومة السوفياتية من الحادث بغية بذر الشقاق بين حلفاء الغرب . وانتهت المناورات برجوع الجيش الانكليزي الى المقاطعة المذكورة لاحتلالها من جديد . فحدث انذاك حوادث دامية مؤسفة :

في صباح ٥ تشرين الاول قامت مظاهرات ايتالية في تريستا فقاومتها الشرطة الانكليزية بشدة وشراسة حتى انها تبتت المتظاهرين الى داخل كنيسة القديس انطونيوس . وبعد ظهر اليوم عينه اجتمع عدد غفير في فسحة الكنيسة المذكورة تكفيرًا لحادث الصباح فصادمتهم القوات الانكليزية بعنف مفرط واطلقت النار فيهم فوقع منهم عدد من القتلى والجرحى وكذلك حدث اليوم التالي . ويظهر اكيدًا ان المتظاهرين لم يستعملوا في الدفاع عن نفوسهم ادنى سلاح وان اعمال القمع جاوزت الحدود بشدتها .

## مطبوعات شرقية

### تاريخ العرب قبل الاسلام

الجزء الثاني من القسم السياسي – تأليف الدكتور جواد علي

بغداد . مطبعة التفيض الاهلية . ص ٤٣٨ ثمن ٥٠٠ فلس مزين بلوحات

يواصل الدكتور جواد علي نشر مؤلفه الواسع عن تاريخ العرب قبل الاسلام . وبين يدينا الآن منه الجزء الثاني من القسم السياسي الذي ظهر في العام الماضي . وهو يبحث في تاريخ الحكومات والمشيخات والقبائل العربية التي عاشت قبل الميلاد . ولنذكر للقارئ بايجاز ما ورد في فصول الكتاب السبعة : يبحث الفصل الاول والثاني في مملكة قتبان وحضرموت وفي ما يمكننا ان نعرف عن ملوكها وقوانين الحكم فيها ، وعن بعض الاسر والقبائل وحكامهم . وفي الفصل الثالث والرابع والخامس بحث في شؤون مملكة سبأ وملوكها وقبائلها العديدة . والفصل السادس يعنى خاصة بالعرب الشماليين وبما كان لهم من صلة بالاشوريين والكلدانيين والعبرانيين وبما كان للغة العربية من اثر في العبرانية . ويجمع المؤلف في الفصل الاخير من بطون الكتب القديمة ما ذكره مؤرخو اليونان والرومان عن العربية . ومعلوم ان هذه المصادر مورد مهم من الموارد التي تُعين على تدوين تاريخ العرب قبل الاسلام .

كنا عرضنا في عدد سابق عند تعريفنا للجزء الاول ، طريقة الدكتور علي في التأليف وذكرنا روحه العلمية وتقصيه للآثار ونقده النزيه . فهذا النهج هو هو في الجزء الحالي ؛ ولقد اعتمد في بحثه على أهم ما نُشر في الموضوع وبصورة خاصة على مجموعتين اساسيتين هما : الاولى « الكتابات السامية » والثانية « دليل الكتابات السامية » . وهما اوسع المظان للكتابات العتيقة ، كما يقول . ولما كانت غايته ان يجعل من كتابه اجمع مؤلف يوضع بين ايدي الباحثين والمتخصصين فانه يتبسط في العرض ويجهد الا يدع شاردة تفوته دون ان يدونها . على انه لا يكتفي بالتدوين والترتيب بل انه كما قلنا يمحص ويعلل ويبدي حكمه بالمقدار والاتزان الذي تسمح به النصوص . وهذا لا يعني ان

حكمه هو القول الفصل – وهو اول من ينكر على نفسه هذا الاعتداد – لكن القارئ يجد دوماً فائدة من الاستئناس برأيه المعلّل الموزون . ونرى من الواجب ان ننبه القارئ الى انه لن يجد في هذا الكتاب تاريخاً للحوادث والملوك مرتباً ترتيباً زمنياً ، لان هذا النوع من التأليف لا يصح الأخذ به في الوقت الحاضر الا في حدود ضيقة وبحذر شديد ، كما يقول هو ، لان عملاً كهذا لا بد ان يستند الى نتائج حفريات علمية عميقة دقيقة ، وعلى تقاويم وقوائم يُركن اليها ويُعتمد عليها ، وعلى مقايسات ومقابلات وامثال هذا لم يتهيأ بعد . لذلك يقتصر على سرد ارقام التواريخ والامور الرئيسية التي ليس في ذكرها زلل . وما احوج اللغة العربية الى مثل هذه الابحاث العلمية الوئيدة الخطى التي تُطلع المثقفين على ما توصل اليه البحاث الثقات وتمهد السبيل الى دراسات ناضجة في المستقبل البعيد باذن الله . ي . ع

## هم ونحن

### تأليف الاب جبرائيل كليجا والسيد كبريال زرازير

ص ٣٥٠ سنة ١٩٥٢

« هم ونحن » كتاب وضعه مؤلفاه الاب ج. كليجا والسيد ك. زرازير للدفاع عن الدين المسيحي الكاثوليكي دفاعاً منطقياً هادئاً مشفوعاً بشتى الشواهد التاريخية . يقول المؤلفان صفحة ٣١٨ : « تعود البعض من خصومنا على الشتم والمسبات واذا عرضت اقوالهم على كور التمحيص لرأيتها خاوية خالية من كل اثر تاريخي . اما نحن فاننا لا نريد ان نكيل لهم بهذا الصاع ونطاولهم بهذا الذراع . فعلى القارئ ان يبحث وينظر من السابح في بحر الاوهام والتائه بها والغارق ... لا نظن ان نية خصومنا جميعهم سيئة... » انما ينقصهم الاطلاع على حقيقة الكاثوليكية اطلاعاً تدعمه الحجة الفلسفية السليمة والشواهد التاريخية النزيهة . لذلك عالجا في جزء طويل ضرورة الاقرار بالله المبدع ، داحضين مذاهب الدهريين والماديين والشيوعيين، مثبتين وجود المبدع من آثاره ومصنوعاته ومن شهادة العلماء الدينيين والجاحدين على السواء . ثم افردا جزءاً في ضرورة وجود الدين فاستعرضا الاديان الكبرى بالنسبة للدين المسيحي الذي عدّدا صفاته

الجوهرية ودحضا البدع المسيحية . وفي الاثر اضافا فصلًا للتدليل على ان الاحبار الرومانيين وحدهم خلفاء بطرس الشرعيون . اما الجزء الاخير ففيه الجواب على اهم ما انكره البروتستانت من مطهر وصوم وتعبد للعذراء مريم والقديسين .

ان خير ما يمتاز به الكتاب الذي نحن بصدده هو كثرة الاستشهادات باقوال عدد كبير من الكتّاب ، سواء كانوا كاثوليكيين او لا ، مع تعيين مآخذها في الحواشي المطولة . فمعظم الكتاب يكاد يكون مؤلفاً من مقتطفات منتقاة تجعل قراءته سهلة مفيدة لاسيما لفئتين من الناس : للواعظ الذي يجد فيه منهلًا غزيرًا يساعده على تحفيل عظاته باقوال وامثال تقربها من النفوس ، وللمؤمن الذي تخالجه نفسه بالشك في الايمان فهو له ترياق لدفع سموم الضلال . لا شك ان القارئ المتوسع قد يعثر هنا وهناك على امور ينقصها التدقيق ، لكن تأليفاً كهذا لا يمكنه ان يكون خالياً من كل شائبة صغيرة ، فلا كبير ضير عليه من جراء ذلك . ي . ع .

## اغاني المنفى

من نظم الاب رفائيل نخله اليسوعي

٢٣×١٤٫٥ ، ١٤ س . ص ٢٥٦ مطبعة الاحسان حلب ١٩٥٣

هذا الديوان الصغير الحجم الثني بمحتوياته يخوّلنا ان نتابع ، بلغته الانيقة وبادوات تعبيره الفذّة، ثروة من الفكرات الدينية نروم دائماً الاعراب عنها على هذه الصورة .

ولئن وقعنا هنا وهناك على بعض القوافي الثّة التي اقتضتها ضرورة الاوزان فمن المستحيل ان يقوى المرء على ان يتفادى مثل هذه الهنات التي ندرت في الديوان ندرة كبيرة .

والمطالع لا ينبغي له ان يقف عند هذه الهنات وهو واجد في هذا الديوان رفيقاً يسليه في ساعات المه ويفرّج عنه في اوقات غصّته ويحلّ له العقدة في اوان تضجّره ليقع فيه على طمأنينة تشفّ عنها كلّ كلمة من كلماته الصادرة عن نفس المؤلف .

وجمع الاب نخله تحت عنوان واحد قصائد عديدة متفرقة في كتب عدة .
اما وحدة الافكار واما التنسيق الواقعي اللذين جعلها لقصائده فصيّرا منها مجموعة تقدّر فتعتبر . فموضوعاته هي الله والمسيح ومريم العذراء والملائكة والقديسون والفضائل وخشية الموت وذكرى امه المؤثرة وجمال الطبيعة .

اجل انه لتنوّع كبير في الموضوعات يماشي تنوع الاوزان وهذا ما حدا كبير ادبائنا ان يثنوا على المؤلف كما جاء في الصفحات الاولى من الديوان.

واننا لنرجو لديوانه الانتشار وتعميم الفائدة .

يُطلب الديوان في لبنان من الاب جورج خوري اليسوعي (كلية القديس يوسف – بيروت) . ثمن النسخة ليرتان لبنانيتان ، واذا اراد المقتني ان يُبعث بها اليه بالبريد المكفول ، كان الثمن ليرتين ونصف – ا. ع. خ.

## بركة عن قبر القديس شربل

للخوري منصور عوّاد

الجزء الاول ، ١٦ × ١٢ س – ص ٧٦٩ ١٩٥٢ – مطبعة النسر – بيروت .

لقد ضمّ هذا الكتاب القيّم المستندات الفريدة الاشد ضبطاً المبيّنة الاحوال والظروف بمناسبة شتى الدعاوى التمهيدية المنعقدة في لبنان لدراسة وضع هذا الراهب القديس الذي ما برحت اشد الخوارق من الاعاجيب تحفّ بجثمانه.

وكان بمقدور المؤلف بصفته محامي الايمان في هذه الدعوى ان يفوز وحده بالمستندات وكان له وحده ان يستفيد منها ويفيد القارئ بها . واننا لنتابع في التفاصيل ، وهي احياناً من اشدّ التفاصيل دقّة وقيمة ، كيفية تطور سير الدعوى وموضوعية التحقيقات والاجوبة . وتنطلق من جميع هذه الاثباتات ذات الاتجاه الواحد رنّة صدق على رغم اختلاف تفاصيلها ؛ وبالنظر الى هذه الناحية ؛ من الواجب الاطلاع على الكتاب .

اما المؤلف فقد حدت به رغبته بالاستفاضة لا في طريق الاسهاب فقط بل قادته في طرق اخرى لا تتصل اتما اتصال باسلوب البحث العلمي الصحيح . اجل ، ان الكتاب لمشحون بكل شيء . ولما كان عنوان هذا المؤلف : القديس شربل ، فقد كان اشد سهولة على المؤلف ان يطلق العنان لقلمه ويتحدث في الوقت

نفسه عن امور اخرى وعن عدة اولياء القداسة ؟ ولماذا ، والحالة هذه ، يحجم عن التحدث عن الذين لهم بعض الاتصال بصاحب موضوعه ... ولماذا لم يؤجل كلامه عليهم ليتعمق في بحثه الاصلي . وهذه السهولة بمغرياتها قد افضت بالمؤلف الى التحدث عن الحرديني ورفقا مع انه كان يسعه ان يخص كلا منها بكتاب على انفراد . فانه ردد مرارًا ان الضرورة اقتضت منه ان يتكلم عنها ولكنه لم يستطع ان يقنعنا بانه قد احسن صنعاً . وفي اعتقادنا ان ميله الى الاستفاضة ومحبته لها لا يبرران دفاعه الذي وطأ به . اما انحراف قلمه الى مهاجمات شخصية فامر لا نرغب فيه لاننا لا نودّ ان يكون لمثل هذه المهاجمات مقام في كتاب يتحدث عن الفضائل المسيحية وكمالها . والنهج العلمي كان يستوجب منه ان يغضي عن الخلافات الشخصية لكي لا يتحفنا الّا بموضوعية المستندات ليس الّا . وان مهاجماته لرؤسائه الروحيين المقنّعة هي بغير محلّها ولا فائدة منها ومضرّة بكتابه . اما مهاجماته السافرة كل السفور للرهبانية اللبنانية تحت ستار الدفاع عن شهرة الراهب القديس شربل فنظنّها تقلل من قيمة كتابه وتفقده بعض الثقة بموضوعية ما جاء فيه من الاقوال .

ويا ليت كتاب الاب عوّاد كان اشد وضوحاً وحبّاً وواقعية لتكون قيمته اعظم مما هي .

ا . ع . خ .



# فهارس المشرق

## للسنة السابعة والاربعين

## ١٩٥٣

# فهرس اول

## لمواد اعداد السنة السابعة والاربعين من مجلة المشرق ١٩٥٣

# فهرس ثانٍ

## يحتوي اسماء كتبة المشرق ومقالاتهم

# فهرس ثالث

## للمطبوعات التي ورد وصفها في السنة السابعة والاربعين للمشرق

على ترتيب اسماء مؤلفيها

### ١ – الكتب الشرقية

## ٢ – مطبوعات اوروبيّة



# فهرس رابع

## لجميع مواد السنة السابعة والاربعين لمجلة المشرق

### على طريقة حروف المعجم

## اصلاح بعض اغلاط وقعت في المشرق

| ص | سطر | خطأ | صواب |
| --- | --- | --- | --- |
| ٦٨ | ٩ | مصوّرًا | مصدّرًا |
| ٧٠ | ١٢ | متحققٌ | متحققٍ |
| ٧١ | ١٨ | حذو | حذوا |
| ٧٢ | ١٧ و١٨ | ولو فعل اصحابنا لكنا | ولو فعل اصحابنا فعل اسحق لكنا |
| ٧٥ | ١٢ | صدئةٌ | صدئةً |
| ٧٦ | ٩ | موضعها | مواضعها |
| ٧٦ | ٢١ | الضيفة | الصفيقة |
| ٧٧ | ٥ | بعده | بعدُ |
| ٨٨ | ٢٦ | وكان كذلك | وكان ذلك |
| ٨٩ | ٣ | تختّم | تَخَتَّمَ |
| ٩٩ | ١٦ | لاجابة | بالاجابة |
| ٢٣٢ | ١٢ | أحذ | أحد |
| ٢٣٨ | ٥ | الحبل | الجبل |
| ٣٠٥ | ٢٤ | تنتاض | تنتاظ |
| ٣١٧ | ٣ | واجمها | اجمها |
| ٣٩٧ | ٨ | الرصافي | الصافي |
| ٥٠٢ | الحاشية | بصل العار | بصل الفار |
| ٦٦١ | ١٧ | يزمونه | يذمونه |
| ٦٦٤ | ١٣ | ضحضاً | دحضاً |